

محاضرات فى تاريخ
الدولة
السعودية
الأولى
١١٥٧ - ١٢٣٣هـ
١٧٤٤ - ١٨١٨م
إعداد : الدكتور عبد الفتاح حسن أبو علية
دار المريخ

مَحَاضَراتٌ فِي تَارِيخ

الدولة السعودية الأولى

محاضرات في تاريخ

الدولة السعودية الأولى

تأليف

الدكتور عبد الفتاح حسن أبو عليه
أستاذ التاريخ المشارك
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض



الرياض - ص.ب : ١٠٧٢٠

طبعة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م الرياض

دار المريخ للنشر

محتويـــات الكتاب

بسم الله الرّحمن الرّحيم

تقديم

هذه محاضرات فى تاريخ الدولة السعودية الأولى القيها على طلاب السنة الرابعة (الليسانس) من قسم التاريخ بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

وقد حاولت فى هذه المحاضرات أن أبتعد عن الخوض فى الجزئيات واكتفيت بتتبع أهم الأحداث فى التاريخ السعودى فى دوره الأول ودولته الأولى فى الفترة ما بين ١١٥٧هـ/١٧٤٤م ـ ١٢٣٣هـ/١٨١٨م . وحاولت أن أحلل الأحداث كطريق سليم للوصول إلى الإستنتاج .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المحاضرات هذه تركز على الجانب السياسى من الموضوع . أما جانبه الفكرى فله بحث ودراسة خاصة به .

وقسمت محاضراتى هذه إلى الفصول الآتية :

الفصل الأول وعنوانه :

مرحلة التأسيس .

إنتشار الدعوة السلفية فى نجد وتوحيد أجزائه .

الفصل الثانى وعنوانه :

انتشار الدعوة السلفية واتساع الدولة السعودية الأولى فى مناطق خارج إقليم نجد .

الفصل الثالث وعنوانه :

الموقف العثمانى من الدعوة السلفية والدولة السعودية الأولى ويشتمل على :

أولاً : الموقف العثمانى عن طريق ولاة العراق .

ثانيًا : موقف أشراف الحجاز وولاة الشام من الدولة السعودية الأولى ودعوتها .

ثالثًا : موقف الدولة العثمانية من الدولة السعودية الأولى عن طريق واليها محمد على باشا .

الفصل الرابع وعنوانه :

امتداد نفوذ الدولة السعودية الأولى فى الخليج .

الفصل الخامس وعنوانه :

أنظمة الدولة وعلاقاتها الخارجية بالدول الأجنبية الكبرى فى الخليج .

والله الموفق

الرياض فى ٢٦ / ٦ / ١٤٠٢هـ
الموافق ٢٠ / ٤ / ١٩٨٢م

د . عبد الفتاح حسن أبو عليه
أستاذ التاريخ الحديث بكلية العلوم الإجتماعية
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مَصَــادر الـكِتَـاب

مما لا شك فيه أن المصادر والمراجع هى مفتاح الطريق للباحث . إذ لا تاريخ بدونها . وتأتى الوثائق فى قمة هذه المصادر لأنه مما لا شك فيه أن الوثائق التاريخية هى أهم ما يعتمد عليه الباحث فى دراسته التاريخية بخاصة فى موضوعات التاريخ الحديث والمعاصر . لذا نشطت البلاد المتحضرة فى عملية جمع الوثائق والاحتفاظ بها فى دور خاصة بها تعرف بدور الوثائق أو المحفوظات «Archives.» والوثائق التاريخية نوعان :

أولاً : وثائق غير منشورة : وهى الوثائق الأهم والتى يجب التركيز عليها لأن مادتها العلمية ما زالت بكرًا لأنها بعيدة عن متناول يد الباحثين . ومن هنا ظلت معلوماتها سرًا محفوظًا فى الملفات لو إنكشفت هذه المعلومات لرفعت الستار عن كثير من القضايا التاريخية التى مازالت تشكل الغازًا محيرة .

ثانيًا : وثائق منشورة : قامت بنشرها جهات رسمية مختلفة أو مؤسسات علمية أو نشرت بوساطة عدد من الباحثين الذين خصصوا جزءاً كبيرًا من نشاطهم العلمى لنشر الوثائق التى تهم موضوعات معينة .

توجد معظم الوثائق التى تهم تاريخ الدولة السعودية الأولى فى كل من :

- دار الوثائق القومية بالقاهرة .
- أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول .
- أرشيف وزارة الخارجية باستانبول .
- وثائق سجلات حكومة بريطانيا بالهند «India Office» .
- وثائق محفوظات بومبى بالهند .

ويتركز الكثير من وثائق هذا الموضوع فى[1] :

دار الوثائق القومية بالقاهرة فى :

- وثائق بحر برًا . ووثائق دفاتر معية تركى . ووثائق محافظ أبحاث الحجاز . ومحافظ

(١) ارجع فى تفصيلات ذلك إلى : د. عبد الفتاح حسن أبو عليه . دراسة فى مصادر تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر (مصادر تاريخ البلاد السعودية) . الطبعة الأولى . الناشر دار المريخ للنشر ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

أبحاث الشام . ومحافظ بند متفرقات . والسجلات . ووثائق محافظ حمراء .

الأرشيف العثمانى باستانبول فى :

ـ وثائق دفاتر العينيات .

ـ وثائق الباب العالى .

أرشيف حكومة بريطانيا فى الهند «India Office» فى :

ـ سجلات شركة الهند الشرقية البريطانية وما يتبعها .

ـ من وكالات «Factory Records»

ـ وثائق المنشورات الرسمية «Official Publication» .

ـ وثائق مختارة من أوراق حكومة بومبى وهى :

. «Selection From Bombay State Papers»

ـ وثائق مجموعة ايتشيسون وهى بعنوان :

A Collection of Treaties. Vol.X. XI

ـ وثائق مجموعة المراسلات الهندية السياسية وهى :

. «India Political. Collections and Despatches»

هذا إلى جانب الوثائق المنشورة بشأن التحكيم لتسوية النزاع الإقليمى بين المملكة العربية السعودية وبين مسقط وأبو ظبى . والوثائق التى نشرتها حكومة المملكة المتحدة فى بريطانية وأيرلندة الشمالية نيابة عن حكومة مسقط وحكومة أبو ظبى بشأن النزاع حول واحات البريمى .

Arbitration Concerning Buraimi and the Common Frontier Between»
. «Abu Dhabi and Saudi Arabia

وهناك مصادر تاريخية محلية معاصرة منها :

ـ كتاب «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوى الإسلام» لمؤلفه حسين بن غنام .

ـ كتاب «عنوان المجد فى تاريخ نجد» لمؤلفه عثمان بن بشر .

ـ كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ورسائله .

ـ مجموعة الرسائل والمسائل النجدية . وهى رسائل وفتاوى علماء نجد المعاصرين للأحداث .

ـ كتاب «الصواعق الآلهية فى الرد على الوهابية» لمؤلفه سليمان بن عبد الوهاب .

ـ كتاب «تاريخ الفاخرى» لمؤلفه محمد بن عمر بن حسن بن محمد بن فاخر الوهيبى التميمى . تحقيق الدكتور عبد الله اليوسف الشبل .

ـ مخطوط «السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة» لمؤلفه محمد بن عبد الله بن سليمان بن عثمان بن حميد النجدى .

ـ مخطوط «تحفة المشتاق» لمؤلفه عبد الله بن محمد البسام .

ـ الشعر العامى (النبطى) .

وهناك مصادر تاريخية غير المصادر النجدية منها :

ـ كتاب «لمع الشهاب فى سيرة محمد بن عبد الوهاب» مؤلفه مجهول وناسخه حسن الريكى . حقق مرتين . كانت الأولى للدكتور أحمد أبو حاكمة عام ١٩٦٧م . وكانت الثانية للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ .

ـ كتاب «مطالع السعود بطيب أخبار الوالى داود» لمؤلفه عثمان بن سند .

ـ كتاب «الفتح المبين المبرهن سيرة السادة البوسعيدين» لمؤلفه حميد بن محمد بن رزيق . وقد نقل هذا المؤلف إلى الإنجليزية قام بنقله السير جورج برسى بادجر «BADGER» . وسماه History of the Imams and Seyyids of Oman .

ـ كتاب «دوحة الوزراء فى تاريخ وقائع بغداد الزوراء» لمؤلفه رسول الكركوكلى . وهو مكتوب فى الأصل بالتركية . قام بترجمته إلى العربية موسى كاظم نورس .

ـ كتاب «خلاصة الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام» لمؤلفه أحمد زينى دحلان .

ـ كتاب «عجائب الآثار فى التراجم والأخبار» لمؤلفه عبد الرحمن الجبرتى .

ـ كتاب «التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول» لمؤلفه لأبى الطيب صديق بن حسن بن على بن لطف الله الحسينى البخارى القنوجى .

- مخطوط «عقود الجمان فى أيام آل سعود فى عمان» لمؤلفه عبد الله بن صالح المطوع .
- كتاب «تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان» لمؤلفه عبد الله السالمى .
- مخطوط «كتاب المشكات (المشكاة) المضية ردًا على الوهابية» لمؤلفه ابن السويدى
- كتاب «نهضة الأعيان بحرية عمان» لمؤلفه محمد شيبة بن نور الدين السالمى .
- كتاب «التحفة النبهانية فى تاريخ الجزيرة العربية» لمؤلفه خليفة بن محمد بن موسى النبهانى .
- كتاب «تاريخ نجد» لمؤلفه محمود شكرى الألوسى .
- كتاب «صفة جزيرة العرب» لمؤلفه الحسن بن أحمد الهمدانى .
- كتاب «عنوان المجد فى بيان أحوال بغداد وبصرة ونجد» لمؤلفه إبراهيم فصيح بن السيد صبغة الله الحيددى .

وهناك مصادر أجنبية أخرى :

- Ali Bey; Travel of Ali Bey; 2 Vols. (London 1816) .
- Badger. G.P.; History of the Imams and Seyyids of Oman; by Salil Bin Razik; From 661-1856; trans . by Badger (London 1871) .
- Brydges. Sir Harford Jones; An Account of His Majesty's Mission to Court of Persia in the years 1807-1810; 2Vols. (London 1834) .
- Burkhardt. J.L.; Notes on the Bedouins and Wahabys; (London 1930) .
- Burkhardt; Travels in Arabia. 2Vols. (London 1829) .
- Mourizi. Shaikh Mansour; History of Said Sultan of Muscat together with an account of the Countries and people of Shores of Persian Gulf. particularly of Wahabees (London 1891) .
- Sadlier. C.G.F.; Diary of a Journey Across Arabia. From EL - Katif in Persian Gulf. to Yambo in the Red Sea; (Bombay 1866) .

هذا وهناك الكثير من المراجع التى تناولت أحداث الدولة السعودية فى دورها الأول ودولتها الأولى . وقد أدرجت قائمة منها فى آخر هذه المحاضرات .

الفَصْــل الأَوّل

مَـرحَــلة التّــأسيس

انتشَــار الـدّعــوَة السَّلفيّـة فى نَجــد وتَوحيــد أَجــزَائه

- اتفــاق الـدّرعيّـة وظهــور الدّولـة السّعوديّة الأُولى
- العــلاقَـة بـين الســلفيّين وبـين أمــير العُيينــة
- حُــروب الـدّولة مع دهــام بـن دوّاس
- الدّولة ومنطقة الـوشم
- الدّولة ومنطقة ســدير
- الدّولة ومنطقة الخــرج
- الدّولة ومنطقة القصــيم
- الدّولة ومنطقة جبـل شمّـر

اتفـاق الـدرعيّـة
وظهور الدولة السعودية الأولى

يبدأ ظهور الدولة السعودية الأولى فى السنة التى انتقل فيها الشيخ محمد ابن عبد الوهاب صاحب الدعوة السلفيّة من بلدة العُيينة إلى بلدة الدرعيّة(١) فى عام ١١٥٧هـ ـ ١٧٤٤م(٢) .

ونجد كتعريف جغرافى يُطلق على الأرض المرتفعة التى تشمل قلب شبه جزيرة العرب . وَيْحدّ نجد من الغرب الهضاب الغربية (سفوح السراة) والحجاز . ويمتد شرقًا حتى الدهناء والأحساء . ويمتد من الشمال من صحراء النفوذ حتى صحراء الربع الخالى فى الجنوب . وإقليم نجد عبارة عن مجموعة من الواحات الخصبة التى يتوافر فيها الماء الجوفى القريب من سطح الأرض . والإقليم يشمل واحات كثيرة كالقصيم وسدير والحوطة والحريق ووادى الدواسر والوشم والمحمل والعارض والخرج وواحات جبل شمر(٣) .

قامت الدولة السعودية الأولى على إثر اتفاق الدرعيّة الذى تم بين الشيخ محمد ابن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود . أمير الدرعية وقتذاك(٤) . وتنص شروط الاتفاق على الآتى :

قال الأمير محمد بن سعود للشيخ محمد بن عبد الوهاب وهو فى الدرعيّة : «ياشيخ إن هذا دين الله ورسوله الذى لا شك فيه . وابشر بالنصرة لك ولما أمرت به والجهاد لمن خالف التوحيد . ولكن أريد أن اشترط عليك اثنين(٥) » .

أولاً : نحن إذا قمنا فى نصرتك والجهاد فى سبيل الله وفتح الله لنا ولك البلدان أخاف أن ترحل عنا وتستبدل بنا غيرنا . فأجاب الشيخ : «أبسط أيها الأمير يدك . الدم بالدم والهدم بالهدم(٦) » .

ثانيًا : « إنّ لىّ على الدرعيّة قانونًا آخذه منهم فى وقت الثمار وأخاف أن تقول لا تأخذ منهم شيئاً . فأجاب الشيخ « فلعل الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوضك الله من الغنائم ما هو خير منها » وبعد هذا الحوار الاتفاقى بسط الأمير محمد بن سعود يده فبايع الشيخ على دين الله ورسوله والجهاد فى سبيل الله وإقامة شرائع الإسلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

ويتضح من نص الإتفاق أنه كان اتفاقاً شفوياً . ولو أنه جاء مكتوباً لأصبح وثيقة تاريخية . وصار بمقدورنا معرفة تاريخ الاتفاق بشكل دقيق . وعلى الرغم من أن كلاً من المؤرخين : حسين بن غنام وعثمان بن بشر أوردا السنة التى تم فيها الاتفاق ، إلاّ أن معلوماتهما تظل ناقصة لأنهما لم يذكرا اليوم والشهر الذى وقع فيه هذا الاتفاق .

ونرجح عدم كتابة هذا الاتفاق ـ حسب اعتقادنا ـ إلى الآتى :

١ ـ إن الكثير من العهود والمواثيق الجماعية فى العهود الإسلامية وغيرها جاءت غير مكتوبة . فعلى سبيل المثال لا الحصر أذكر عهود المبايعة بخاصة المبايعة الجماعية .

٢ ـ إن الاتفاق يعدّ من الوجهة القانونية اتفاقاً يمثل الجماعة . فهو اتفاق بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومؤيديه وبين الأمير محمد بن سعود رأس الحكومة والسلطة .

٣ ـ إن الاتفاق قام على أساس دينى ، ومن هنا فإن جاء هذا الاتفاق مكتوباً أو شفوياً فالأمر سيان لأنه عهد وميثاق . قال تعالى : « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم » . الآية ٩١ من سورة النحل . « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » . الآية ٨ من سورة المؤمنين . يقول صاحب لمع الشهاب فى سيرة محمد بن عبد الوهاب تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، ص ٣٢ : « .... وبايعه (أى بايع محمد بن سعود الشيخ) على تقويم هذا الدين وترويجه ، ثم أنه اشترط كل واحد منهما على صاحبه ما اشترط ، وأكدا الأمر بالحلف والعهود والمواثيق واتخذا على ذلك شهوداً .... » .

وبهذا الاتفاق الذى ذكرناه آنفا تم تشكيل الدولة السعودية الأولى وأصبحت الدرعيّة القاعدة الأولى للدولة السعودية الأولى ، وأصبح أميرها يلقب فيما بعد بلقب

إمام . وأصبح على الدولة الجديدة واجب كبير . وهو نشر الدعوة فى ربوع نجد أولاً . ثم فى ربوع الجزيرة ثانياً . ثم فى خارج الجزيرة العربية ثالثاً . وكان هذا العمل يحتاج إلى جهد كبير بخاصة وأنه سيصطدم بمقاومة عنيفة فى الداخل وبمقاومة أعنف وأشد من الخارج .

وقد عم خبر الاتفاق أرجاء نجد وخشى كثير من رؤساء البلدان النجدية من هذا الحدث الجديد . فمنهم من جاء إلى الدرعيّة معلناً تأييده . ومنهم من أبدى مناهضته للدعوة والدولة الجديدة . ومنهم من أعلن رضاه لكنه كان يظهر خلاف ما يبطن .

أصبحت الدرعيّة المركز الدينى والسياسى فى نجد بعد هذا الاتفاق . ومن الدرعية مركز الثقل السعودى الأول بدأت تخرج الحملات العسكرية السلفيّة ضد من أعلنوا عداءهم للدعوة والدولة وأخذت تنعقد فيها حلقات الدروس الدينية . ومنها كذلك بدأت تخرج البعثات الدينية إلى أنحاء البلاد النجدية لتثقيف الناس الثقافة الدينية وتبصيرهم بأهداف الدعوة الإصلاحية ولتكون الوسيلة السلمية لنشر الدعوة السلفيّة فى ربوع البلاد النجدية وغيرها .

لقد قضت الدولة السعودية الأولى أكثر من نصف قرن وهى تعمل من أجل توحيد نجد تحت الحكم السلفى السعودى . وخاضت الدولة حروباً طويلة مع البلدان المجاورة للدرعيّة فى نجد من أجل عملية التوحيد المذكورة . وأدرج هنا عدداً من النماذج التطبيقية على العلاقة الحربية التى سادت جو العلاقات بين الدولة السعودية الجديدة وبين القوى السياسية المحلية فى نجد التى وقفت فى صف القوى المعادية للدعوة والدولة .

العلاقة بين الدولة السعودية وبين أمير العُيينة .

أرسلت الدولة السعودية السلفيّة الأولى عدة حملات عسكرية ضد الذين رفضوا مبادىء الدعوة الإصلاحية التى نادى بها الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب وضد من رفض الدخول فى طاعة الدولة . وكانت من بين الحملات التى وجهتها الدولة السعودية الأولى ، حملات ضد أمير العُيينة عثمان بن معمر(٧) .

نحن نعرف أن ابن معمر هذا كان قد احتضن الشيخ ودعوته فى بداية الأمر . لكنه تحت تأثير ضغط حاكم الأحساء . سليمان بن محمد رئيس بنى خالد أخرج الشيخ من بلده . وكان ابن معمر هذا أول أمير اعتنق مبادئ الدعوة السلفية . وأول من شارك الشيخ محمد بن عبد الوهاب واتباعه فى هدم كثير من القباب وقطع عدد من الأشجار التى كان الناس يتبركون بها . ومن إمارته العُيينة أذيعت لأول مرة مبادئ الدعوة السلفيّة . وبعد خروج الشيخ محمد من العُيينة إلى الدرعيّة ندم عثمان على فعلته بخاصة عندما رأى ماحل بالدرعيّة من تقدم وسمعة بعد انتقال الشيخ إليها واتفاقه مع أميرها على نشر الدعوة . فذهب عثمان بن معمر إلى الدرعيّة وحاول إقناع الشيخ بالعودة إلى العُيينة . لكن الشيخ رفض مطلبه . وفى بداية الأمر أعلن عثمان بن معمر خضوعه للدرعيّة . وشارك فى حروب الدولة ضد دهام بن دواس حاكم الرياض قبل انضمامها للدعوة والدولة . إلا أن أحداثاً بدت منه اثبتت أنه لم يكن صادقاً ومخلصاً فى ولائه للدعوة والدولة فجعل يكيد لهما . ثم رأى أن هذه المحاولة لم تفلح . فعاد نادماً وطلب السماح من الشيخ والإمام محمد بن سعود فصفحا عنه . وأجاباه على طلبه . ومع هذا استمر عثمان بن معمر فى عدائه للدولة لأنه شعر بفقد مركزه وسلطته . فحاول عقد الأحلاف ضد الدولة . فاستدعى كلاً من ابراهيم بن سليمان . أمير ثرمداء وابن سويط . رئيس قبيلة الظفير . ليقوموا بهجوم على الدرعيّة . إلا أن بعض المؤيدين للدعوة من أهل العيينة قتلوا الأمير عثمان بن معمر فى رجب عام ١١٦٣هـ/١٧٤٩م بعد خروجه من صلاة الجمعة . وبعدها جاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب بنفسه إلى العيينة وأمر عليها مشارى بن معمّر . وبعد عشر سنوات من حكم مشارى للعيينة عزل عنها بسبب عدم ولائه وعين بدلاً منه سلطان بن محيسن المعامرة(٨) . وهكذا استطاعت الدولة أن تنجح فى القضاء على مقاومة أمير العُيينة التى انضمت بعد ذلك إلى الدعوة وأصبحت ضمن سيادة الدولة . وهكذا فقدت أسرة آل معمّر الزعامة السياسية فى العُيينة واختفى دورها السياسى فى نجد .

حـُروب الـدولة مَع
• دهّام بن دوّاس أمير الرّياض

كان دهام بن دواس بن عبد الله الشعلان من الجلاليل ويظن أنه من مطير من ألد أعداء الدعوة والدولة . وكان قد هاجر واخوته من منفوحة إلى الرياض على إثر مقتل أخيهم محمد بن دواس الذى كان يرأس منفوحة . وكانت الرياض وقتذاك تحكم من قبل زيد بن موسى الذى قتله أحد أبناء عمه الذى كان معتوها[٩] فاستولى على حكم الرياض أحد مواليه المسمى خميس بعد أن استطاع هذا قتل القاتل . وظل خميس يحكم الرياض مدة ثلاث سنوات[١٠] . بعدها هرب خميس من الرياض إلى منفوحة وهناك لقى حتفه . وبعد ذلك تولى حكم الرياض دهام بن دواس الذى ادعى أنه خال لأولاد زيد بن موسى أبا زرعة . وعندما استوثق فى الولاية واستتب له الأمر وكثر أعوانه . أخرج الابن الأكبر من أبناء زيد من الرياض . فثار أهل الرياض عليه إلا أنه استنجد بالإمام محمد بن سعود الذى أنجده بجند بقيادة أخيه مشارى بن سعود . وبهذه المساعدة تمكن دهام بن دواس من تثبيت حكمه لمدة فى الرياض[١١] .

ومع هذا لم يعتنق دهام بن دواس مبادئ الدعوة السلفية بل استنكرها[١٢] وقامت حروب بينه وبين السلفيين دامت حوالى سبعة وعشرين عاماً . وظلت الحرب سجالاً بين دهام والسلفيين حوالى عشرين سنة فى عهد الإمام المؤسس للدولة محمد بن سعود . وكانت الحرب فى أخذ ورد . وكان أسلوب دهام فى الحرب أسلوب الدسائس والفتن تارة وأسلوب المصالحة تارة أخرى . لقد عاهد دهام الدولة أربع مرات ولكنه كان فى كل مرة ينكث بعهده .

لقد كانت بداية الاحتكاكات العسكرية بين الدرعية ودهام بعد انضمام منفوحة إلى الدعوة . فقام دهام بالهجوم عليها وضمها إلى الرياض . وربما أن الدافع لهذا العمل هو ردة الفعل المعاكس . فان دهام وأخوته كانوا بمنفوحة واجلوا عنها . والآن شعر دهام بأنه فى مركز قوى فى الرياض يستطيع أن يضم منفوحة

إلى حكمه . الا أنه فشل بسبب المقاومة العنيدة من قبل أمير منفوحة على بن مزروع . ومن قبل سكانها . حتى أن دهام أصيب بجرحين أثناء الاشتباكات بينه وبين أهالى منفوحة [١٣] .

وكرد فعل لهذه الحادثة جهز الإمام محمد بن سعود حملة صغيرة ضد دهام استطاعت الوصول داخل الرياض ومهاجمة قصر دهام فيها . وبعد ذلك عادت الحملة إلى الدرعية .

هاجم دهام العمارية وقتل أميرها عبد الله بن على . فكان هذا سبباً فى قيام الإمام محمد بن سعود بغزوة مضادة ضد جيش دهام . وكانت موقعة « فيضة لبن » التى انهزم فيها جيش الدرعيّة بعد أن كمن دهام لجيشها فى المكان المذكور .

وكرد فعل لوقعة « فيضة لبن » قام الإمام محمد بن سعود بحملة ضد دهام وكانت الموقعة قد حدثت فى الوشام . وكانت النتيجة أن انهزمت قوات الرياض ودعيت هذه الوقعة بوقعة «الشيَّاب» لأنه قتل فيها شايبان من آل شمس من أهل الرياض .

أراد الإمام محمد بن سعود أن يلاحق دهام ويزيد فى هزائمه . فقام بحملة أخرى ضد الرياض . كانت نتيجتها هزيمة دهام مرة أخرى . وسميت هذه الوقعة بوقعة العبيد . لأن معظم من قتل من رجال دهام كانوا من العبيد .

جهز دهام جيشاً وهاجم الدرعيّة . ولما خرجت له قواتها تظاهر بالتقهقر فظن جيش الدرعيّة أن جيش دهام قد هزم . إلا أن جيش الرياض كان قد نصب كميناً لجيش الدرعيّة فكانت النتيجة ضد جيش الدرعيّة وقتل من جيشها الأميران فيصل وسعود إبنا الإمام محمد بن سعود .

وكرد فعل لهذه الأحداث جهزت الدرعيّة جيشاً قوياً للهجوم على الرياض . إلا أن أحد أهالى بلدة حريملاء من آل داود يدعى أبو شيبة كان قد أفشى للرياض سر المعلومات التى هيأتها الدرعيّة لمهاجمة الرياض . فكانت النتيجة متكافئة بين الجيشين وعرفت هذه الوقعة باسم وقعة الشراك وكانت عام ١١٦٠ هـ/١٧٤٧ م .

ثم حدثت معركة أخرى تدعى « بوقعة البنية » اشتبكت فيها جيوش الدرعيّة والرياض وكانت نتيجتها ضد جيوش الدرعيّة . والملاحظ أن قائد الجيش السعودى

فى هذه الواقعة كان عثمان بن معمّر .

ثم حدثت وقعة أخرى بين جيش الدرعية وبين جيش الرياض فى مكان يدعى «الخريزة» وكانت النتيجة متكافئة وكان قائد القوات السعودية فى هذه الوقعة عثمان بن معمر .

وفى عام ١١٦٧هـ عقد مؤتمر فى الدرعيّة اجتمع فيه الشيخ محمد بن عبد الوهاب والإمام محمد بن سعود مع كبار أنصار الدعوة فى مختلف البلدان للتباحث فى شئون الدعوة والمواقف اللازم اتخاذها ضد أعدائها . ولما سمع دهام بهذا المؤتمر طلب من الشيخ محمد بن عبد الوهاب والإمام محمد بن سعود عقد صلح بينه وبين الدرعيّة وتعهد باعتناق مبادئ الدعوة السلفية . إلا أن دهام نكث هذا العهد فى العام التالى سنة ١١٦٨هـ/١٧٥٥م .

وهكذا تجددت الاشتباكات بين الدرعيّة والرياض من جديد ولم تخلو سنة إلاّ ووقعت فيها غزوة بين الدرعيّة والرياض . وأخيراً طلب دهام الصلح من الشيخ والإمام محمد بن سعود عام ١١٧٧هـ/١٧٦٢ م . فوافقت الدرعيّة على شروط منها :

(ا) أن يقبل دهام بعودة أنصار الدعوة إلى الرياض بعد أن كان دهام قد اضطرهم للهجرة منها .

(ب) أن يعيد دهام الأملاك التى صادرها فى الرياض من أنصار الدعوة إلى أصحابها .

(جـ) أن يساعد دهام الدرعيّة فى حربها ضد أعداء الدعوة والدولة .

وظل دهام متمسكاً بهذا الصلح حتى وفاة الإمام محمد بن سعود عام ١١٧٩هـ/١٧٦٥ م . وكان كذلك قد حضر مع الأمير عبد العزيز بن محمد الحرب التى قامت بها الدرعيّة ضد عشائر الظفير فى وقعة « جراب » وكانت هذه أول غزوة ينضم إليها دهام تحت لواء الدرعيّة .

والذى نلاحظه على الوقعات التى ذكرناها هو أن دهام بن دواس ظل صامداً أمام الغزوات السلفيّة . وظل ينهج سياسة إثارة الفتن والصعوبات ضد حكومة الدرعيّة .

ونلاحظ كذلك أن دهام أخذ يجرب سياسة الأحلاف ضد الدرعيّة . فجرب عقد حلف مع أميرى الأحساء ونجران . وتارة كان يجرب عقد الأحلاف مع البلدان النجدية التابعة للدولة السعودية ويحرضها على نقض العهد والابتعاد عن الدعوة .

ونلاحظ كذلك أن حكومة الدرعيّة جربت أن تحدث تكتيكاً حربيًا جديدًا ضد دهام . حيث أقام الأمير عبد العزيز بن محمد حصناً يدعى بحصن «الغذوانة»(١٤) غربى الرياض فى وادى حنيفة ليكون نقطة انطلاق حربى ضد الرياض حيث وضعت فيه حامية سعودية قوية .

ونلاحظ كذلك أن حكومة الدرعيّة كانت فى مركز قوى أمام تحديّات دهام وغزواته وتحريضاته وتحرشاته . كما أن الغزوات المتلاحقة ضده كانت سببًا قويًا من أسباب إضعاف القوة المعادية للدعوة والدولة . وكانت هذه الغزوات بداية الطريق لضم الرياض إلى بوتقة الدولة ونشر مبادئ الدعوة السلفية فيها .

وما أن سمع دهام بخبر وفاة الإمام محمد بن سعود . حتى أخذ يعد العدة من جديد للإنقضاض مستغلاً هذه الفرصة . فتحالف مع حاكم الدّلم زيد بن زامل وشنا هجومًا قويًا ضد منفوحة . هذا ما جعل الإمام السعودى الجديد عبد العزيز ابن محمد يهاجم الرياض . وأمر أخاه عبد الله بالهجوم على قبيلة سبيع حليفة دهام(٥) .

وزادت فى زمن الإمام الجديد حدة التوتر بين الدرعيّة وبين الرياض بخاصة فى لفترة الواقعة ما بين عام ١١٨١هـ ـ ١١٨٧هـ/١٧٦٧م ـ ١٧٧٣م . فقاد الإمام عبد العزيز بن محمد الجيوش بنفسه . وأخذ يركز هجماته ضد دهام فى الرياض . وظل الأمر هكذا فى أخذ ورد . إلا أنه أصبح بشكل أميل إلى الجانب السعودى السلفى حتى سنة ١١٨٦هـ/١٧٧٢م . ففى هذه السنة ركز الأمام عبد العزيز هجماته الشديدة ضد دهام . وركز كذلك على تهديم حصون الرياض بخاصة حصن المرقب الذى كانت منه تراقب الجيوش القادمة لحرب الرياض . وبعد تهديم هذه الحصون فرّ دهام إلى الخرج عام ١١٨٧هـ/١٧٧٣م . وبعدها استسلمت الرياض ودخلها الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود . وانتهت جولة طويلة من جولات الحروب التى دامت أكثر من ٢٧ سنة بين الدرعية وبين الرياض . واستراحت الدولة من أشد وأخطر

وأعند خصم لها فى نجد . وبهذا انتشرت مبادئ الدعوة السلفية فى الرياض(١٥) . وبهذا أخذت الدعوة والدول تركزان جهودهما فى اتجاهات أخرى . وانتهت كتلة أخرى من كتل العداء التى كانت تقف أمام انتشار الدعوة وامتداد رقعة الدولة السعودية الناشئة والفتية .

الدولة ومنطقة الوشم(١٦)

قررت الدولة نشر مبادئ الدعوة السلفية فى منطقة الوشم . لذا أرسلت غزوة عام ١١٦١هـ/١٧٤٨ م بقيادة عثمان بن معمر والأمير عبد العزيز إلى ثرمداء . ومع أن الجيش السعودى السلفى انتصر على جيش ثرمداء إلاّ أنه لم يستول عليها . وفى عام ١١٦٣هـ/١٧٥٠م حاولت الدولة اقناع أهالى ثرمداء بالدخول فى الدعوة والانضمام للدولة إلا أنهم رفضوا ذلك . وظلت تقوم الوقعات بين الدرعية وبين ثرمداء حتى ما بعد عام ١١٧٣هـ/١٧٥٩م . وأخيراً انضمت ثرمداء إلى الدولة بعد أن قاد الأمير عبد العزيز بن محمد عدة حملات عسكرية ضدها .

أما بلدة القويعية فقد انضمت للدعوة والدولة فى عام ١١٦٩هـ/١٧٥٥م . بعد أن أعلن أهلها الطاعة وبايعوا الشيخ والإمام محمد بن سعود .

أما عن مدينة أشيقر فقد انضمت للدعوة والدولة بعد قيام الدولة بعدة حملات عسكرية ضدها ظلت من سنة ١١٧٠هـ ـ ١١٨٢هـ/١٧٥٦ ـ ١٧٦٧م .

أما عن مدينة شقراء فكانت من أول المدن التى دخلت فى الدعوة وانضمت إلى الدرعية .

أما عن بلدة القصب فقد بايعت الشيخ والإمام محمد بن سعود بعد غزوة قام بها الأمير عبد العزيز ضدها عام ١١٧٢هـ/١٧٥٨م .

أما عن بلدة مراة والفرعة فقد انقادتا للدعوة والدولة بعد قيام الأمير عبد العزيز بغزوات ضدهما فى عام ١١٧٥هـ/١٧٦١م .

الدّولة ومنطقة سدير(١٧)

قادت الدولة عدة غزوات ضد بلدان منطقة سدير التى رفضت الدعوة ورفضت الانضواء تحت لواء الدولة السعودية السلفيّة الناشئة . وقد بدأت الدولة غزواتها للمنطقة ابتداء من عام ١١٦٤هـ/١٧٥١م . وظل الأمر فى أخذ ورد حتى حوالى عام ١١٧٧هـ/١٧٦٤ م . وفى هذه الفترة استطاعت الدولة نشر مبادئ الدعوة فى كل من الزلفى وجلاجل والحوطة والجنوبية والروضة والتويم والغاط والداخلة والعودة وحرمة وغيرها من المدن والبلدان فى هذه المنطقة .

الدّولة ومنطقة الخرج(١٨)

قادت الدولة عدة غزوات ضد منطقة الخرج . وكان يتولى قيادة الجيوش السعودية الأمير عبد العزيزبن محمد . فمنذ عام ١١٦٥هـ/١٧٥٢م أرسلت الدولة غزوة إلى الدّلم كانت بقيادة مشارى بن معمر . وفى عام ١١٧٣هـ/١٧٥٩م أرسلت غزوة أخرى بقيادة الأمير عبد العزيز . وظل الأمر كذلك حتى ما بعد دخول السلفيين الرياض . بعدها انقادت الدّلم للدعوة والدولة . وفى عام ١١٧٥هـ/١٧٦١م دخلت نعجان ضمن نطاق الدولة السعودية .

لقد ظل هذا الولاء فى عهد الإمام محمد بن سعود ، وبعد وفاته نقض زيد بن زامل صاحب الدّلم العهد ، وأخذ زيد يعقد الأحلاف ضد الدرعيّة . فتحالف مع حويل الوداعين الدوسرى صاحب الدواسر ومع آخرين من زعماء الجنوب . وطلب المتحالفون العون من منطقة نجران مقابل دفعهم مبلغًا من المال لحاكمها .

سارت القوات المتحالفة صوب الدرعيّة واشتبكت فى طريقها مع أهالى بلدة الحائر ثم أهالى بلدة ضرماء ، وفى نهاية الأمر أصيبت جيوش المتحالفين بخيبة أمل كبيرة عندما منيت بخسائر فادحة(١٩) هذا ما جعل النجرانيين يعودون إلى بلادهم . وبهذا الأسلوب انفض عقد الحلف . ونتيجة لهذا كله عقد زيد بن زامل صلحًا مع الدرعيّة عام ١١٨٩هـ/١٧٧٥م . إلا أن هذا الصلح لم يدم أمده طويلاً لأن زيداً نكث

بعهده فى العام اللاحق[٢٠] . مما اضطر الإمام عبد العزيز بن محمد أن يتخذ اجراءًا شديدًا ضد زيد حين أمر بعزله عن إمارة الدّلم . وعين بدلاً منه سليمان بن ابراهيم بن عفيصان .

وظل زيد يكيد الدسائس للدولة ويؤلب أهالى الجنوب عليها . فقادت الدولة ضده وضد محالفيه عدة حملات تأديبية . والجدير بالذكر أن الدولة لجأت إلى خطة تكتيكية حربية عندما أمرت ببناء «حصن البدع» الواقع إلى الشرق من الدّلم والقريب من بلدة السلمية . وقد وضعت فى هذا الحصن حامية سعودية ظلت تراقب الوضع العسكرى فى الجنوب .

وحدث حادث أفاد الدولة السعودية والدعوة السلفيّة وهو قيام نزاع أسرى بين أفراد الأسرة الحاكمة فى الخرج حين قُتل الأمير براك بن زيد على يد أبناء عمه الذين لجأوا إلى الدرعيّة . هذا ما جعل الدرعيّة ترسل جيشًا قويًا بقيادة الأمير سعود بن عبد العزيز إلى الخرج . وبعد هجوم قوى ومركز استولت القوات السعودية على الدّلم سنة ١١٩٩هـ/١٧٨٤م . وبعد هذا الحادث أعلنت بلدان الخرج الانضمام للدولة وللدعوة . حيث انتشرت مبادئ الدعوة السلفية بين الأهالى . وأمر الإمام عبد العزيز على الخرج الأمير سليمان بن عفيصان بعد مقتل أميرها السابق تركى بن زيد بن زامل[٢١] .

وعلينا أن نلاحظ أن معظم البلدان كانت قد نقضت عهدها مع الدولة بعد وفاة الإمام محمد بن سعود . إلا أن الإمام عبد العزيز استطاع أن يعيد هذه البلدان إلى بوتقة الدولة السعودية بعد أن عاهدت وبايعت من جديد .

الدّولة ومنطقة القصيم[٢٢]

أعلنت مدينة بريدة ولاءها للدولة والدعوة عام ١١٨٢هـ/١٧٦٨م ، حين ساعدت حكومة الدرعية حمود الدريبى أمير بريدة ضد أمير عنيزة عبد الله بن أحمد بن زامل . وكانت القوات السعودية المرسلة لعون حمود الدريبى بقيادة الأمير سعود بن عبد العزيز .

إلا أن راشد الدريبي الذى تولى إمارة بريدة بعد حمود الدريبي تنكر للدرعيّة وغير موقفه منها . لكن أبناء عمومته ثاروا عليه وأخرجوه من بريدة وأعلنوا انضمامهم إلى الدرعية . ومع هذا عادت بريدة فانتفضت ضد الدرعية التى أرسلت قوات سعودية بقيادة الأمير سعود بن عبد العزيز الذى حاصرها حتى استسلمت عام ١١٨٩هـ/١٧٧٥ م . وبعدها اسندت الدرعية إمارة بريدة إلى حجيلان بن حمد العليان .

وفى عام ١١٩٦هـ/١٧٨٢ م نقض أهل القصيم عهدهم للدرعية وأعلنوا الحرب ضدها (ما عدا أهل بريدة والرسّ والتنومة) . واستنجد القصيميون بسعدون بن عريعر حاكم الأحساء الذى استنفر قواته وبواديه وسار بهم إلى القصيم .

حاصرت قوات سعدون وحلفاؤه مدينة بريدة التى كان يرأسها حجيلان ابن حمد من رؤساء آل أبى عليان . وظلت بريدة محاصرة لمدة شهر . حتى أن سليمان الحجيلانى أخذ يتعاون مع سعدون ويفاوضه . إلاّ أن حجيلان قتل سليمان وبذلك فسدت المؤامرة وثبتت المدينة فى صمودها أمام حصار سعدون . وظل الحصار كذلك مدة أربعة أشهر . ولما شعر سعدون بعدم جدوى الحصار ارتحل عن بريدة .

أما مدينة عنيزة فقد أعلنت ولاءها للدولة بعد أن قاد الأمير سعود حملات عسكرية ضدها . استطاع قتل أميرها عبد الله بن أحمد بن زامل عام ١١٨٢هـ/١٧٦٨م .

وفى عام ١١٩٦هـ/١٧٨١ م تزعمت عنيزة ثورة كبرى ضد الدرعية، أنجدها صاحب الأحساء سعدون بن عريعر . ولكن الثورة فشلت واضطرت عنيزة أن تعلن ولاءها للدولة .

وفى عام ١٢٠٢هـ/١٧٨٨ م قاد الأمير سعود جيشاً من الدرعيّة واتجه به إلى عنيزة ودار قتال معها كانت نتيجته أن دخلت القوات السعودية المدينة واسندت إمارتها إلى محمد بن يحيى .

الدولة ومنطقة جبل شمر[٢٣]

أعلنت المنطقة ولاءها للدولة والدعوة السلفية عام ١٢٠٥هـ/١٧٩٠ م بعد أن قاد الأمير سعود بن عبد العزيز حملات عسكرية ضد المنطقة .

ومن هنا نلاحظ أن الدولة السعودية خاضت الكثير من الغزوات فى إقليم نجد من أجل نشر الدعوة السلفيّة . واستطاعت فى الفترة الواقعة ما بين عام ١١٥٩هـ ـ ١٢٠٥هـ/١٧٤٦م ـ ١٧٩٠م أن تنشر مبادئ الدعوة السلفيّة فى ربوع البلاد النجدية . وبذلك غدت الدولة فى هذه الفترة تضم جميع إقليم نجد . فاتسعت بذلك رقعتها وازداد معها عدد أتباع الدعوة[٢٤] .

وكان على الدولة الناشئة فى نجد أن تعمل على نشر الدعوة فى أقاليم الجزيرة العربية الأخرى غير إقليم نجد كالأحساء والحجاز وعسير واليمن وعُمان . هذا ما أدى بها إلى خوض العديد من الغزوات مع حكام الأحساء من بنى خالد ومع الأشراف فى الحجاز ثم مع النجرانيين وغيرهم . وهكذا انطلقت الدولة إلى مرحلة أخرى من مراحل تكوينها . كما أن الدعوة أخذت تخرج خارج نجد لتدخل فى الأقاليم الأخرى المجاورة لنجد فى جزيرة العرب .

وعلينا أن نلاحظ أن الدولة كانت تستخدم الأسلوب السلمى فى نشر الدعوة . وكان هذا الأسلوب يأتى فى المحل الأول : فكانت الدولة ترسل مجموعة من علمائها إلى البلدان والأقاليم المجاورة وذلك لإقناع الناس بمبادئ دعوتها عن طريق الأمور السلمية . لكن الكثير من حكام الأقاليم تنكروا للدعوة والدولة .عندها لجأت الدولة إلى الاسلوب الثانى وهو إرسال الحملات العسكرية ضد البلدان والأقاليم التى تنكرت للدعوة ورفضت الانضواء تحت رايتها .

وهكذا نلاحظ أن المرحلة الأولى من مراحل نشر الدعوة السلفيّة وتكوين الدولة السعودية فى عهدها الأول كانت مركزة على البلدان المجاورة للدرعيّة ثم تعدت ذلك إلى دائرة أوسع حتى استكمل للدولة ضم جميع بلدان نجد والقضاء على الزعامات السياسية المحلية المعادية لها . وكان هذا الجهد هو بداية توحيد إقليم نجد وضم أجزائه فى بوتقة

الدولة الجديدة . وبعد ذلك كان على الدولة أن تعدّ نفسها لعمل أكبر لأنها ستجابه فى المرحلة اللاحقة قوى سياسية أكبر من القوى السياسية التى عادتها فى نجد . ولأنها ستخوض حروباً أكثر ضراوة وأشد بأساً ممّا واجهته فى البلدان النجدية . ولأنها ستجابه بأوضاع تكاد تكون مختلفة عن الأوضاع التى جابهتها فى إقليم نجد . حتى أنها ستجد فى بعض المناطق مجابهة مذهبية كانت تزيد فى شدة الموقف وصلابته وبالتالى كانت تقوى حدة الصراعات والحروب ممّا يعقد الأمر ويزيد فى صعوبته .

هـوَامش الفَصْـل الأَوَّل

(١)كانت الدرعية وهى بلدة من بلدان منطقة العارض بنجد ـ عندما إنتقل إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب بلدة صغيرة قليلة أسباب الرزق والثروة . وقد عانى سكانها ومن هاجر إليها من أتباع الشيخ من ضيق العيش فكان تلاميذ الشيخ يعملون فى الليل ويجلسون فى حلقات الدرس فى النهار حول أستاذهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب . انظر عثمان بن بشر . «عنوان المجد فى تاريخ نجد» جـ١ . ص٢٣ . طبعة وزارة المعارف السعودية .

(٢)أنظر : حسين بن غنام «روضة الأفكار والأفهام» جـ٢ . ط١ . ص٤ . المكتبة الأهلية بالرياض ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م .

نلاحظ أن المؤرخ ابن غنام لم يحدد بالضبط تاريخ رحيل الشيخ إلى الدرعية . فيقول فى الجزء الثانى من كتابه ص٤ «... وكانت هذه الأمور المذكورة والأفعال المقررة المسطورة فى حدود سنة سبع وخمسين بعد المائة والألف من الهجرة النبوية» وتتفق رواية عثمان بن بشر مع رواية حسين بن غنام على أن إنتقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب من العيينة إلى الدرعية كان عام ١٢٥٧هـ/١٧٤٤م أنظر : مخطوطة عثمان بن بشر المحفوظة بالمكتبة البريطانية بلندن .

(٣)انظر : عمر رضا كحالة . جغرافية شبه جزيرة العرب . ص١٤ . القاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م . وكذلك أنظر : فؤاد حمزة . قلب جزيرة العرب . ط٢ . من ص٢٢ ـ ٢٣ . مطبعة النصر بالرياض . ولمعرفة تحديدات الجغرافين المسلمين لنجد . ارجع إلى : الإمام الحربى فى كتابه «المناسك» تحقيق الشيخ حمد الجاسر ونشر دار اليمامة . والبكرى فى كتابه «معجم ما استعجم» تحقيق مصطفى السقا . والاصفهانى ـ فى كتابه «بلاد العرب» والحمدانى فى كتابه «صفة جزيرة العرب» .

(٤)ينتسب آل سعود إلى جدهم سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع بن ربيعة المريدى . ويرجعون فى نسبهم إلى ربيعة إحدى القبائل العدنانية . وكان جدهم مانع بن ربيعة قد قدم سنة ٨٥٠هـ من بلاده الدرعية الواقعة قرب القطيف إلى حجر اليمامة بناء على طلب ابن عمه (ابن درع) صاحب حجر قاعدة اليمامة والتى بنيت على ما تبق من محلاتها القديمة مدينة الرياض . وكان ابن درع صاحب الجزعة أيضاً وهى إحدى ضواحى الرياض من الجهة الجنوبية . أقام مانع وأسرته فى المليبيد وغصيبة بعد أن أقطعها

إليه ابن عمه ابن درع . وأصبحت هذه المنطقة فيا بعد «الدرعية» تخليداً لموطن آل سعود الأول . أو تخليداً لإسم الأسرة . انظر : ابن بشر . نفسه . مجلد ٢ . ص٢١ – ٢٢ . انظر كذلك : حمد الجاسر . مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ . والفاخرى . الأخبار النجدية . ورقة ٢ .

(٥) انظر :

- عثمان بن بشر . نفسه . جـ١ . ص٢٢ .
- حسين بن غنام . نفسه . جـ٢ . ص٣ .
- يذكر صاحب لمع الشهاب فى سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تحقيق الدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمة ص٣٠ – ٣١ عن الإتفاق المذكور ما يلى : قال الأمير للشيخ : «هذه القرية قريتك والمكان أنت وليه . فلا تخش أعداءك والله لو انطبقت علينا جميع نجد ما أخرجناك عنا فقال : أنت كبيرهم وشريفهم . أريد منك عهداً على أنك تجاهد فى هذا الدين . والرياسة والإمامة فيك وفى ذريتك . وأن المشيخة والخلافة فى الدين فى وفى آل من بعدى أبداً . بحيث لا ينعقد أمراً ولا يقع صلحاً ولا حرباً إلا ما نراه كذلك فإن قبلت هذا فأخبرك أن الله يطلعك على أمور لم يدركها أحد من عظماء الملوك والسلاطين وتكون عاقبة أمرك محمودة عند الله . لأنك اتبعت الدين ونصرته ولم تقصر رتبتك عن رتبة الصحابة والخلفاء الذين نصروا رسول الله . وأى منزلة أعلى من هذه . فقال محمد بن سعود قبلت وبايعتك على ذلك فتبايعا . واشترط كل منهما على صاحبه ما اشترط عليه .

(٦) لم يقبل الشيخ محمد بن عبد الوهاب عرض عثمان بن معمر . أمير بلدة العيينة حين طلب منه عثمان أن يعود إلى العيينة ويترك بلدة الدرعية . وهذا يعطينا صورة عن مدى الصدق فى تطبيق شروط الإتفاق . انظر : ابن بشر . نفسه . جـ١ . ص٢٣ .

(٧) من أجل مزيد من التفصيل إرجع إلى : ابن بشر . نفسه . جـ١ . ص٢٩ . ٣٠ . وكذلك ابن غنام . جـ٢ . ص٤ . ٨ . ٩ . ١٤ . ٥٧ .

(٨) يذكر ابن بشر فى كتابه عنوان المجد . جـ١ . ص٤١ أن الذى أمر على العيينة هو سلطان بن محسن المعمرى . ويبدو أن هذا الإسم هو نفسه الموجود فى كتاب ابن غنام .

(٩) ذكر ذلك الشيخ ابن غنام . أما الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى يذكر فى تاريخه بعض الحوادث الواقعة فى نجد «أن زيداً قتل من قبل جماعة من عنزة فى وقعة كانت بينهم وبين أهل الرياض» . انظر . : التعليق فى : كتاب ابن بشر . جـ١ . ص٢٦ . انظر كذلك : ابن غنام نفسه . جـ٢ . ص٥ .

(١٠) يذكر التعليق فى هامش كتاب ابن بشر ، جـ١ ، طبعة وزارة المعارف ، ص٢٦ ، أن حكم المولى خميس للرياض دام مدة خمس سنوات .

(انظر : Lady Anne Blunt, A pilgrimage to Nejd, Vol. 2, p. 252 (London 1881).
(١١) يذكر ابن غنام أن دهام أرسل أخاه مشلباً إلى الدرعية يطلب العون من الإمام محمد بن سعود ، انظر : ابن غنام ، ص٥ .
(١٢) انظر : ابن غنام ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٦ .
(١٣) انظر : ابن غنام ، نفسه ، جـ٢ ، ص٦ ـ ٧ ، ابن بشر ، نفسه ، جـ١ ، ص٢٧ .
(١٤) يذكر ابن بشر أن اسم الحصن «الغزوانة» . انظر : ابن غنام ، نفسه ، جـ٢ ، ص٥٣ . وكذلك : ابن بشر ، جـ١ ، ص٣٩ .
(*) انظر : H. St. John Philby, Saudi Arabia, p. 61, (London 1955).
(١٥) لمعرفة تطور سير الوقعات الحربية بشكل مفصل إرجع إلى : ابن غنام جـ٢ ما بعد ص٧٣ . وكذلك : ابن بشر ، جـ١ ، ما بعد ص٥٦ . وكذلك حسين خلف خزعل حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، من ص ٢٣٦ ـ ٢٤٦ ، بيروت ١٩٦٨م .
(١٦) انظر : حسين خلف الشيخ خزعل ، المرجع السابق ص ٢٢٣ ـ ٢٢٨ .
(١٧) انظر : حسين خلف خزعل ، المرجع السابق ، ص ٢٢٩ ـ ٢٣١ .
(١٨) انظر : حسين خلف خزعل ، المرجع السابق ، ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣ .
(١٩) ابن بشر ، جـ ١ ، ص ٦٠ .
(٢٠) ابن بشر ، جـ ١ ، ص ٦٦ .
(٢١) ابن بشر ، ج ١ ، ص ٧٣ .
(٢٢) حسين خزعل ، ص ٢٩٣ ـ ٢٩٧ .
(٢٣) حسين خزعل ، ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩ .
(٢٤) انظر فى ذلك : مصورات انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى العالم الإسلامى ، نشرتها أمانة أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

الفَصْل الثّانى

إنتشَار الدّعوَة السَّلفيّة

واتسَاع الدّولة السّعوديّة الأُولىٰ فى منَاطق خارج إقليم نجد

- عـلاقَة الدّولة بحَاكم نجرَان
- عـلاقَة الدّولة ببـنى خـالد فى الأحسـاء

بعد أن شاع أمر الدعوة السلفيّة فى بلدان نجد وسمع بها أهالى البلاد المجاورة . وبعد أن أخذت الدولة السعودية الأولى تعّد الحملات العسكرية وترسلها إلى البلدان من أجل نشر الدعوة فيها ومن أجل انضمامها إلى الدولة بعد فشل الجهد السلمى فى تحقيق أهداف الدولة وأغراضها . واجهت الدولة السعودية الأولى فى مطلع عهد تكوينها تحديات كبيرة من البلدان النجدية وغير النجدية . وكان على الدولة مواجهة هذا التحدى حفاظاً على وجودها وهدفها . فاصطدمت بتحدٍ عسكرى قام به حاكم نجران ضدها من الجنوب . وكان هذا النمط من التحدى وغيره ما هو إلاّ موجة اندفاع عسكرى قام به أعداء الدولة والدعوة ، الغاية منه إضعاف الدولة السعودية الأولى بخاصة وهى مازالت طرية العود كمرحلة من مراحل إجهاضها وبالتالى القضاء عليها .

علاقَة الدّولة بحَاكم نِجْرَان

كان العجمان قد أغاروا على جماعة من سبيع كانت تسكن بلدة الحائر ، وكانت متحالفة مع الدرعية . لذا قررت الدرعيّة محاربة أولئك العجمان الذين اعتدوا على حلفائهما من سبيع . فاتجه الأمير عبد العزيز بن محمد بقوات الدرعيّة إلى قذلة حيث يقيم العجمان وكانت نتيجة الاشتباكات أن انتصر جيش الدرعيّة على جماعة العجمان الذين اتصلوا بحاكم نجران وطلبوا منه مساعدتهم ضد الدرعيّة . وكان حاكم نجران وقتذاك حسن بن هبة الله الشيعى المذهب . جمع حسن جيشاً كثيفاً واتجه به إلى الحائر وشدد حصاره عليها . ولما علمت الدرعيّة بهذا الهجوم أرسلت جيشاً كبيراً قاده عبد العزيز بن محمد . وكانت النتيجة أن لحقت هزيمة ساحقة بجيش الدرعيّة وقتل منه حوالى أربعمائة وأسر منه خلق كثير ، وكان ذلك عام ١١٧٨هـ/١٧٦٤م[١] .

لقد استطاع السلفيّون عقد صلح مع حاكم نجران تبادلوا فيه الأسرى . يقول المؤرخ حسين بن غنام عن سبب الهزيمة ما يلى :[٢]

« وقد كان المسلمون فى مسيرهم إلى العدو والذهاب بدلائل الخيلاء والإعجاب الذى يكون غالباً به المعاتبة والعقاب ويصير سبباً إلى الابتلاء من رب الأرباب . فحين التقى المسلمون بأولئك الأحزاب وقد وطنوا أنفسهم فى ذلك الموقف على ابتغاء الثواب وبذل غالى الرقاب حمى بينهم الوطيس . ولم يحصل بين الأطفال تنفيس وبقى فرسان الإسلام تجول ورجالتهم تسأل الله النصر وتصول ، حتى قاربوا أن يكشفوا أولئك الأعداء ويلبسوهم ثياب الردى ولكن أراد الله تكرمة أوليائه وخذلان أعدائه وتبين حزب المؤمنين (وليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) فكتب على المسلمين الهزيمة فى ذلك اليوم وتبع ساقتهم أولئك القوم وحقت عليهم الهزيمة وقتل منهم مقتلة عظيمة تقارب التحقيق واليقين أربعا من عقود المئة .. »

علاقة الدّولة
بنى خالد فى الأحساء

يبدأ تاريخ بنى خالد فى أواخر القرن الحادى عشر للهجرة ، بعد ضعف الدولة العثمانية فى الأحساء . استطاع بعدها براك بن عريعر آل حميد من بنى خالد أن يخرج الحامية العثمانية من الأحساء ويستولى عليها . ومن هنا أخذ بنو خالد يتوسعون ويمدون نفوذهم إلى الأقاليم المجاورة للأحساء كلما سنحت لهم الفرصة .[٣]

لقد عرفنا موقف سليمان بن محمد بن براك بن عريعر من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حين أوعز للأمير عثمان بن معمر أن يخرج الشيخ من العيينة . وكان بنو خالد من ذوى السلطة والنفوذ فى منطقة العارض وقتذاك وعندما أخذت الدعوة الإصلاحية تقوى وتتركز فى نجد أخذت تلقى معارضة بنى خالد فى الاحساء .

وهنا نتساءل لماذا أقلقت الدعوة بنى خالد ؟ فالجواب يعود لأن هذه القوة الجديدة فى نجد هددت مصالح بنى خالد فيها بخاصة المصالح الاقتصادية القائمة على التجارة . كما أن بنى خالد رأوا أن قيام الدولة السعودية فى نجد ما هو إلا بداية الطريق وستعمل

هذه الدولة على نشر الدعوة السلفيّة ومد نفوذها وتوسيع رقعة حكمها . وبذلك تكون الأحساء أول المناطق المعرضة لهذا التوسع السلفى .

إن أول تصادم وقع بين السلفيّين وبين بنى خالد كان فى عهد الإمام محمد بن سعود وفى عهد حكم سليمان بن محمد من بنى خالد . وكان سليمان بن محمد وقتذاك من أصحاب النفوذ الواسع فى المنطقة . وكان بمقدوره أن يؤثر على الأحداث فيها إلا أن سليمان كان يتعرض فى الداخل لمنافسة شديدة من زعماء بنى خالد مثل دجين ومنيع ولدى سعدون . وانتهت هذه المنافسة بطرد سليمان من الأحساء إلى الخرج حيث توفى هناك وخلفه فى الحكم عريعر بن دجين . وكان الحكم السلفى مازال فى بداية عمله الأول ، لذا كانت قوة الدولة السعودية وقتذاك محدودة بحيث أنها كانت مازالت فى مركز لم يكن ليأهلها شن الغزوات على الأحساء .(٤)

بدأ عريعر يعدّ العدة لحرب الدرعيّة ، حيث القوة السعودية النامية . هذا مادعا السلفيّين إلى تحصين الدرعيّة والبلدان المجاورة لها . ففى سنة ١١٨٢ هـ/١٧٥٩ م اتجه عريعر بقواته صوب الدرعيّة إلا أنه اصطدم بمقاومة شديدة فى بلدة الجبيلة هذا ما أجبره على العودة إلى الأحساء بدون طائل .(٥) .

وبعد ستة أعوام منْ هذه الحملة جرب عريعر أن يتعاون مع حسن بن هبة الله رئيس نجران ضد الدرعيّة إلا أنه لم يوفق فى هذا التحالف . فغزا الدرعيّة بقوته فقط وكانت النتيجة فاشلة(٦) .

ونلاحظ هنا أن قوة الدرعيّة أصبحت كافية لرد غزوات بنى خالد وغزوات الجنوب فهى فى موقف الآن أقوى من الموقف الأول . كما أن مدنها أصبحت مدن قوية ومحصنة وبامكانها الدفاع عن نفسها .

وعندما دخلت معظم البلاد النجدية فى بوتقة الدولة السعودية واعتنقت مبادئ الدعوة السلفيّة رأت الدولة أن تلتفت لنشر مبادئ دعوتها فى منطقة الاحساء وتنهى مقاومة بنى خالد فيها .

لقد كانت الظروف الداخلية للأحساء فى الربع الأخير من القرن الثامن عشر الميلادى مهيأة للدولة السعودية فى أن تتدخل فى أمور الأحساء الداخلية . والظروف

هـذه هي التنافس القائم بين بني خالد أنفسهم حول السلطة . وهذا ما حدث بالفعل بين أبناء عريعر بن دجين . فكانت هـذه الأمور الداخلية من العوامل التي أدت بالإمام عبد العـزيز أن يتدخل في شئون الأحساء الداخلية .

استمر النزاع بين الدولة السعودية وبني خالد في عهد الإمام عبد العزيز إذ أخذت الدولة ترسل قوات إلى حدود الأحساء . وأخذت قوات السلفيّين تتغلغل في الأراضي المتاخمة للحدود النجدية الأحسائية . وهنا نلاحظ كيف أن الدولة أخذت تنطلق من مركز أقوى مما كانت عليه في عهد الإمام السابق محمد بن سعود مؤسس الدولة السعودية الأولى .

أحس حكام بني خالد بحراجة موقفهم . وأحسوا كذلك أن الدولة السعودية سائرة في طريق التوسع والنمو في نشر دعوتها وفي تثبيت سيادتها على المناطق النجدية وخارجها . ورأى بنو خالد أن هذا سيكون على حساب مركزهم وسلطتهم لذا قرر عريعر أن يقوم بحملات عسكرية ضد الدرعيّة كمحاولة منه لإبعاد هذا الخطر الذي أخذ يحس به بشكل ملموس .

ففي عام ١١٨٨ هـ/١٧٧٤ م شن عريعر هجوماً على منطقة القصيم وكان هجومه على بلدة بريدة . واستطاع اقصاء أميرها عبد الله بن حسن وأسرته المؤيدين للسلفيّين وعين عليها أميراً اسمه راشد الدريبي . وبعد هذا النجاح هاجم عريعر الدرعيّة نفسها . إلا أنه توفي في الخابية ـ قرب النبقية ـ بعد شهرين من انسحابه من مدينة بريدة(٧) . ويعتبر موت هذا الحاكم من حكام بني خالد الحد الفاصل بين دوري القوة والضعف في تاريخ بني خالد . إذ بعد موت هذا الحاكم أصيبت كفة بني خالد بالخلل والاضطراب بسبب تنازعهم . وقد أدى هذا إلى ضعف بني خالد وإلى عدم استطاعتهم السيطرة على أمور الجند والحكم في بلادهم .

لقد حاول سعدون بن عريعر عام ١١٩٢هـ/١٧٧٨م أن يتحالف مع زيد بن زامل للقيام بحملات عسكرية ضد الدرعيّة لعله يقوى مركزه في الأحساء بعد ما حل بالأسرة الحاكمة من بني خالد من سمعة سيئة عند سكان الأحساء لكثرة الفتن التي انتابت الأسرة الحاكمة وما نتج عن هذا الخلاف الأسرى من تأثيرات على أهالي الأحساء.

وفى عام ١١٩٣ هـ/١٧٧٩ م حاول سعدون إثارة بعض المدن النجدية ضد الدولة السعودية الأولى . وقد هاجم سعدون واتباعه المجمعة بناءًا على دعوة أهل حرمة وأهل الزلفى ولكن هذه الحملة باءت بالفشل .

وفى عام ١١٩٥ هـ/١٧٨٠ م قدم سعدون مساعدات عسكرية لأهل الدلّم ضد الحامية السعودية الموجودة فى حصن « البدع » السعودى . وكذلك سار سعدون عام ١١٩٦ هـ/١٧٨٢ م بقواته إلى منطقة القصيم لمساعدة هذه المنطقة ضد بريدة ، إلا أن جميع هذه المحاولات باءت بالفشل .

بدأ الأمير سعود يشن الغزوات ضد الأحساء منذ عام ١١٩٨ هـ/١٧٨٣ م . ففى هذا العام سار سعود بقوات سلفيّة وصلت حتى قرية العيون . فغنمت الغنائم الكثيرة وقفلت عائدة إلى نجد .

وفى عام ١١٩٩ هـ/١٧٨٤ م واصل الأمير سعود عملياته الاستفزازية ضد الأحساء وظل الوضع العسكرى كذلك حتى عام ١٢٠٧ هـ/١٧٩٢ م حيث استطاع الأمير سعود بن عبد العزيز أن يدخل بقواته الأحساء بعد انكسار براك وجيشه فى معركة الشيط شرقى اللصافة . وبعد هذه المعركة أرسل الأمير سعود مندوبين عنه إلى أهالى الأحساء يبينون لهم مبادئ الدعوة السلفيّة ويدعونهم إلى الدخول فيها ويقدمون الولاء للدولة السعودية . واجتمع زعماء الأحساء بالأمير عند عين نجم وقدموا طاعتهم له .

وفى الأحساء أمر الأمير سعود بهدم القباب والأضرحة ومظاهر الشرك . وأمر بإقامة الشعائر الدينية والصلوات فى المساجد . وعين محمد بن سليمان أميراً على القوات السعودية فى الأحساء ومحمد الحملى أميراً إدارياً فى المنطقة وعين حسين أبو سبيت مسئولاً عن بيت المال فى الإقليم .

لكن الأهالى فى الأحساء نقضوا العهد بعد عودة الأمير سعود إلى الدرعية ، هذا ما جعل الدولة ترسل قوات ضخمة بقيادة الأمير سعود عام ١٢٠٨ هـ/١٧٩٣ م . دكت قواعد الجماعة التى نقضت العهد .

ومن الهفوف تقدمت القوات السعودية بقيادة ابراهيم بن عفيصان فدخلت القطيف

وتاروت ، وبذلك تمكنت الدولة السعودية الأولى من دخول منطقة الأحساء بكاملها . وقد شرعت الدولة السعودية فى تصميم مبادئ دعوتها فى المنطقة . وشرعت كذلك فى مرحلة تطبيق مبادئ الدعوة السلفية فيها .

وتكون الدولة السعودية بعد دخولها الأحساء قد خرجت من دائرة إقليم نجد وأصبحت بعد ضم الأحساء تطل بحدودها على مياه الخليج العربى وأعطاها هذا مكسباً استراتيجياً إلى جانب ما حققته من أهداف أخرى .

ونلاحظ كذلك أن الدولة السعودية أصبحت مجاورة فى حدودها للنفوذ العثمانى فى بلاد العراق . وهذا بدوره أدى إلى احتكاكات مسلحة بين السلفيين وبين وولاة العراق العثمانيين وقبائل المتنفق المقيمة فى جنوب العراق بخاصة وأن عدداً من بنى خالد قد لجأوا عند هذه القبائل .

وتكون الدولة السعودية الأولى بعد دخولها الأحساء قد شكلت خطراً كبيراً يهدد النفوذ العثمانى فى المنطقة . وكان هذا مؤثراً لقيام صراع طويل ومرير بين الدولة السعودية والدولة العثمانية متمثلاً ذلك فى ولا ية العراق ثم فى الولايات العثمانية العربية الأخرى كولاية الشام وولاية مصر .

وقد لفت التطور السياسى المحلى الوطنى نظر الدول الأجنبية الكبرى كبريطانيا وفرنسا فأخذتا تراقبان هذا التطور وتتابعان مراحله ومشواره . وهذا بدوره زاد فى حدة الصراع بين الدول فى المناطق الخليجية . وقد أزعج هذا التطور السياسى المحلى والوطنى الدول الأجنبية الكبرى التى تحافظ على تثبيت استعمارها وضمان سلامة استمراره .

هـوامش الفصـل الثـانى

(١) حسين بن غنام . جـ ٢ . ص ٦٦ . يذكر المؤرخ ابن بشر . جـ ١ . ص ٤٤ . أن القتلى كانوا حوالى خمسمائة .

(٢) انظر : ابن غنام . جـ ٢ . ص ٦٦ - ٦٧ .

(٣) ارجع إلى ماكتب عن بنى خالد فى كتاب الدكتور أحمد أبو حاكمة «محاضرات فى تاريخ شرقى جزيرة العربى فى العصور الحديثة» ما بعد ص ١٢٥ .
انظر كذلك : ابن بشر ، عنوان المجد . فى السوابق التى أوردها فى هذا المؤلف حيث أننا نجد الكثير فى هذه السوابق عن تاريخ بنى خالد . وكذلك فإن ابن بشر يفيدنا كثيرًا عن موقف بنى خالد من الدعوة السلفية والدولة السعودية .

(٤) شن السلفيون غارة على الأحساء ووصلوا إلى المطيرفى وقتلوا عددًا من الرجال وغنموا الغنائم ثم ساروا إلى بلدة المبرز . وبعدها عادت الحملة إلى نجد .
انظر : إبن غنام . جـ ٢ . ص ٦٢ . انظر كذلك : ابن بشر . جـ ١ . ص ٤٣ .

(٥) ابن بشر . جـ ١ . ص ٤٠ .

(٦) ابن بشر . جـ ١ . ص ٤٥ . إن حسن هبة الله شيعى المذهب ويذكر كتاب لمع الشهاب الإسم بـ «حسن المكرمى» ويذكر لمع الشهاب أن عريعر بذل جهدًا كبيرًا فى إقناع حسن بالتحالف معه ضد الدرعية والقيام بهجوم مشترك عليها . وقد وعد عريعر حسنًا بأن يدفع له سنويًا مائة ألف قطعة ذهبية إذا نقض الصلح الذى وقعه مع السلفيين بعد وقعة الحائر سنة ١١٧٨هـ/١٧٦٤م . أو ما تسمى بوقعة النجرانيين .

(٧) ابن غنام . جـ ٢ . ص ٦٦ - ٦٧ .

الفَصْل الثَّالث

المَوقِف العُثمَاني

مِنَ الدّعوة السّلفيّة والدّولة السَّعوديّة

أَوّلاً المَوقِف العُثمَانِي عن طَريق ولاة العِرَاق

- حَملة على كيخيَا

ثانيًا مَوقِف أشرَاف الحِجَاز وولاة الشَّام من الدّولة السَّعوديّة الأُولىٰ

- مَوقِف أَشرَاف الحِجَاز
- مَوقِف ولاة الشَّام

ثالثًا مَوقِف الدّولة العُثمَانيّة من الدّولة السعوديّة الأُولىٰ عن طَريق وَالِيهَا مُحمَّد عَلِي

- الحملة الأُولىٰ (حملة طوسون)
- وصُول مُحمّد عَلِي إلىٰ جَدّة
- حَملة إبرَاهيم بَاشَا
- مَعَارك الدّرعيّة

اختلفت نظرة الدولة العثمانية من الدعوة الإصلاحية والدولة السعودية الأولى باختلاف المكان الذى امتدت فيه الدعوة والدولة . فنظرت الدولة العثمانية للدولة السعودية ودعوتها وهى فى نجد على أنها انتفاضة بدوية كعادة القبائل فى المنطقة ، لأن نجداً فى نظر الدولة العثمانية إقليم بعيد عن مراكزها الاستراتيجية الاقتصادية والعسكرية فى جزيرة العرب وخارجها . ومع أن الدولة العثمانية أحست بأن الدعوة والدولة السعودية تحدٍ دينى وسياسى لها إلا أن موقفها تجاهها كان مختلفاً . فعندما امتدت الدعوة والدولة إلى جبل شمر والأحساء ، رأت الدولة العثمانية الوقوف فى وجه هذا التحول القائم فى أرض الجزيرة العربية فاتخذت موقفاً معادياً لها . ورأت أن تستخدم عدة قوى سياسية لضرب الدولة السعودية .

الموقف العُثمانى من الدّولة السّعودية الأولى عن طريق ولاة العراق

بدأت تتجمع عوامل الأحتكاك بين الدولة العثمانية فى العراق وبين الدولة السعودية الأولى . وبدأت ملامح الاصطدامات بين الطرفين وشيكة الوقوع . لقد أصبح العراق العثمانى بخاصة فى جنوبه مركزاً لتجمع القوى المعارضة للدولة السعودية ودعوتها السلفيّة . وبرزت عوامل الاحتكاك بين الطرفين بعد حملة قام بها ثوينى بن عبد الله رئيس قبائل المنتفق على القصيم عام ١٢٠١ هـ/١٧٨٦ م ومعه جموع غفيرة من المنتفق وأهل المجرة والزبير وبوادى شمّر وغالب طى . ولما وصل إلى بلدة التنومة نازله أهلها فضربها بمدافعه ودخلها عنوة وقتل الكثير من أهلها ونهب الكثير منها . ثم توجه بعد ذلك إلى مدينة بريدة فحاصرها ولكنه اضطر إلى رفع الحصار عنها عندما سمع بوقوع الاضطرابات فى بلاده وقفل عائداً إلى وطنه(١) . وقد صعدت هذه الحملة من حدة الموقف وصارت سبباً قوياً من أسباب الاحتكاك المباشر بين الدولة السعودية وبين قبائل

المنتفق والظفير فى جنوب العراق . وأصبح العراق العثمانى المركز الرئيسى الذى تعدّ منه الحملات العسكرية العثمانية ضد الدولة السعودية .

هذا إلى جانب أن جنوب العراق يحوى الكثير من القباب والأضرحة والمزارات التى تخالف مبادئ الدعوة الإصلاحية التى قامت من أجل تخليص الدين من البدع والخرافات .

أرسل الإمام عبد العزيز رسالة إلى سليمان باشا الكبير والى بغداد العثمانى مصحوبة بنسخة من كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب « التوحيد الذى هو حق الله على العبيد » وطلب من الوالى أن يجمع علماء بغداد للنظر فى الكتاب واعتناق مبادئ الدعوة السلفيّة . إلا أن جواب الوالى جاء شديداً حين قال « فبعد أن طالعناه وفهمنا فحواه وجدناه كتاباً جامعاً لشتات من المسائل مشتملاً على عدة رسائل لكنه قد جمع فيه بين غث وثمين وقوى ووهين ووجدنا أحواله أحوال من عرف من الشريعة شطراً ولم يمعن فيها نظراً ولا قرأ على أحد ممن يهديه إلى النهج القويم ويدله ويوقفه على العلوم النافعة التى هى الصراط المستقيم[٢] » .

والجدير بالذكر ان الحكم العثمانى فى العراق كان مضطرباً وقتذاك وذلك لكثرة الانقسامات والفتن والتمردات القبلية ضد السلطة العثمانية . وكانت مثل هذه الظروف تشكل فرصة كبيرة للسلفيين فى صراعهم ضد ولاة الدولة العثمانية فى العراق .

وكرد فعل على اعتداءات قبائل المنتفق على حدود البلاد السعودية السلفيّة وكرد فعل للإجابة على علماء بغداد وموقفهم من الدعوة . وكرد فعل لحماية والى بغداد للفارين من الدولة السعودية ، رأى الإمام عبد العزيز بن محمد أن يوجه حملات عسكرية ضد جنوب العراق . ففى عام ١٢٠٣ هـ/١٧٨٨ م أرسل قوات بقيادة ابنه سعود الذى فاجأ قبائل المنتفق فى مكان يعرف بالروضتين (بين المطلاع وسفوان) فكانت هذه الحملة هى أول حملة سعودية تدخل حدود العراق . وبعد ذلك عادت قوات الأمير سعود بعد قيامها بحملة أشبه بجس النبض واظهار قوة الدولة السعودية بأنها قادرة على رد الاعتداءات التى تقوم بها قبائل المنتفق والسلطات العثمانية فى العراق على الأرض التابعة لها .

وفى عام ١٢٠٩ هـ/١٧٩٤م غزا الأمير سعود قبائل الظفير المقيمة على الحدود العراقية فى موضع الحجرة . وهكذا نلاحظ أن الدولة السعودية أصبحت فى مركز قوى تستطيع منه تحدى ولاة العراق العثمانيين بخاصة بعد أن تمكنت من تثبيت حكمها فى الأحساء . وهكذا فقد تعرض جنوب العراق للغزو السعودى المتلاحق عليه . وكانت فرصة سانحة للدولة السعودية لأن تؤدب قبائل المنتفق والظفير والقوى المعارضة التى هربت إلى هذه المنطقة . وبعد هذا الغزو المتلاحق على جنوب العراق دارت مكاتبات بين السلطان العثمانى وبين والى بغداد سليمان باشا الكبير من أجل تسيير حملات عثمانية قوية ضد الدرعيّة . إلاّ أن سليمان باشا كان يقدر صعوبة نزول جيشه فى الصحراء . ويقدر ما ستقوم به القبائل الساكنة جنوب البصرة من انتفاضات وقلاقل ضد الدولة . ويقدر الصعوبات التى تعترض الجيش العثمانى المنظم فى مثل هذه الحروب التى لم يعتادوا عليها وليست لديهم الخبرة الكافية فى ممارستها ومعرفة طبيعتها .

رأى سليمان باشا أن يعمل على ضرب السلفيّين بالقبائل المحلية . فأفرج عن ثوينى المسجون وأسند إليه إمارة المنتفق بدلاً من حمود بن ثامر وعينه قائداً للحملة الموجهة ضد السلفيّين . وكان الجيش الذى سار به ثوينى هذه المرة يتكون من عشائر المنتفق والزبير والبصرة وغيرهم .

اتجه ثوينى نحو الأحساء ولم يتوجه نحو القصيم أو شمّر لأن حملته كانت تضم عدداً من بنى خالد . ولأن الطريق إلى الأحساء أكثر سهولة بخاصة وأنه يستطيع استعمال المراكب والسفن فى نقل الجنود والمؤن والعتاد . ولأن الأحساء مركز تموين سهل لقواته .

ومع هذا فان حملة ثوينى باءت بالفشل لأنها كانت فى الواقع تحوى عناصر متباينة . ولأن رؤساءها متحاسدين الكل منهم يهدف لنيل الزعامة . ولأن ثوينى قائد الحملة كان قد لقى مصرعه على يد أحد عبيد بنى خالد(٣) .

وهكذا فشلت حملة ثوينى وانتصرت القوات السلفيّة التى أخذت تطارد فلول القوات العراقية حتى حدود الكويت . واستولت على الكثير من معداتها ومدافعها وعتادها وغنمت الكثير من الغنائم .

وكرد فعل لحملة ثويني قام الأمير سعود بهجوم على جنوب العراق وامتد فى توغله حتى قرية « أم العباس » وشن أثناء غارته هجوماً على قبائل شمر والظفير وغيرهما من عربان المنطقة .

جاءت أوامر سلطانية مشددة تأمر سليمان باشا بأن يعدّ حملة قوية من الجنود النظاميين ضد السلفيّين[٤] بخاصة بعد فشل حملة ثويني . ويكون العثمانيون قد جربوا طريقة ضرب السلفيّين عن طريق القوى المحلية المعادية لهم . ولمّا رأى العثمانيون عدم نجاح هذا الأسلوب قرروا اتخاذ استراتيجية جديدة تعتمد فيها الدولة على الجيش النظامى .

حملة على كيخيا

بذل سليمان باشا جهداً كبيراً فى إعداد حملة على الأحساء ضمت الجند المدرب والعشائر والأكراد وقبائل الخزاعل الشيعية . وقد شاهد السير هارفورد جونز بريدجز الوكيل الإنجليزى فى بغداد هذه الاستعدادات الضخمة التى كانت تقوم فى بغداد عام ١٢١٣ هـ/١٧٩٨ م[٥] .

انقسمت الحملة فى البصرة إلى قسمين : فريق الفرسان بقيادة على باشا الذى سار بهم براً . وفريق من المشاة والمدفعية الثقيلة كان قد سار عن طريق البحر بواسطة السفن التى اشترتها الدولة العثمانية واستأجرتها من مناطق الخليج . ومن هنا نلاحظ مدى النفوذ العثمانى فى المنطقة على الرغم من عدم تواجده فى بعض الأماكن الخليجية . وهذا يوضح مفهوم التبعية السياسية للعثمانيين .

ساهم العتوب فى الكويت والبحرين فى إعداد هذه الحملة لأن الجميع كانوا ينظرون للدولة السعودية نظرة بغض وحسد من جهة ونظرة خوف من جهة ثانية . إضافة إلى هذا كله الولاء الذى كان يكنه الجميع للدولة العثمانية الإسلامية وما يعنيه وجودها فى عملية مقارعة الحكم الأجنبى .

وصلت الحملة إلى المبرز والهفوف وحاصرت الحصنين السعوديين فيهما . وكان

حصن المبرز بقيادة سليمان بن محمد بن ماجد وكان قائد حصن اخفوف إبراهيم بن سليمان بن عفيصان . وقد صمد الموجودون فى الحصن أمام هذا الحصار مما جعل الجند العثمانى يتململ . وبدأت وسائل نقله تنقص . وكذلك نقصت المواد الغذائية . وقد أوجد هذا حالة من الفوضى فى صفوف جند عَلى باشا الذى يئس من نجاح حملته . فاضطر أخيراً إلى العودة إلى بغداد دون أن يحرز نصراً . وأثناء عودته كانت القوات السعودية القادمة من الدرعية قد وصلت لمساعدة قوات السلفيّين فى الأحساء .ولما علم الأمير سعود بانسحاب قوات على باشا سار باتجاه الشمال ليلحق بها . وهناك عند الظهران عسكر الأمير سعود فى مكان يدعى « ثاج » . وكان على باشا قد عسكر فى مكان يدعى « الشباك » بالقرب من ثاج . قامت مناوشات بين الطرفين كانت دون جدوى ولم يكتب النصر لأحدهما على الآخر .

رأى على باشا ضرورة مفاوضة الأمير سعود بعد أن فشل فى تحقيق انتصار على السلفيين . وقد اشترط على باشا على الأمير سعود عدة شروط لتوقيع صلح بين العثمانيين فى العراق وبين السلفيّين . منها[٦] :

١ ـ أن يرحل السلفيّون عن الأحساء .

٢ ـ أن يدفع السلفيون تكاليف الحملة العثمانية .

٣ ـ أن يعيد السلفيّون كل ما غنموه من القوات العراقية أثناء حملة ثوينى على الدولة السعودية الأولى .

٤ ـ أن لا يتعرض السلفيون لقوافل الحجاج الذين يأتون من العراق ويمرون بالأراضى التابعة للسلفيّين . هذا ويتعهد السلفيّون بالمحافظة على الأمن وسلامة الطرق فى أراضيهم .

والملاحظ على شروط الصلح التى طلبها على باشا من السلفيّين بأنها تمثل شروطاً غير واقعية بخاصة وأنها جاءت فى ظرف يمثل تدهور الحملة وتراجعها . واعتقد أن على باشا طالب بهذه الشروط ليبرر بها عدة أمور منها :

١ ـ كى يقلل من حدة الصدمة العثمانية الناتجة عن الموقف العسكرى للحملة ومدى الصعوبات التى اعترضتها حتى اضطرتها إلى الانسحاب من الأحساء والعودة

إلى العراق دون أن تحقق هدفها .

٢ ـ كى يبين للمسؤولين العثمانيين بأن عودته إلى العراق كانت بعد أن اشترط على السلفيّين عدة شروط كلها فى جانب العثمانيين . والشروط التى طلبها هى تمثل الشروط التى تمليها السلطة المتنفذة على السلطة التابعة .

٣ ـ كى يقنع قواته بأنه لم يهزم بالرغم من تناقضات الموقف وصعوباته . وهذا ـ فى اعتقاده ـ يفسر بعدم اصطدام قواته بمعارك فاصلة بالقوات السلفيّة من جهة ويفسر أيضاً بالشروط القاسية التى طلبها من الأمير سعود من جهة ثانية قبل أن ينسحب بشكل نهائى إلى العراق .

ومع أن السلفيّين كانوا فى وضع عسكرى أفضل من وضع حملة على كيخيا إلاّ أن الأمير سعود ردّ على رسالة على باشا التى تحمل شروط الصلح برسالة لا يستشف منها قبول الشروط وإنما أرجأ ذلك لما يراه والده الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود . وهو يعلم تماماً بأن والده لا يوافق على شرط واحد من هذه الشروط . وإنما هى فرصة لكسب الوقت من جهة ولضمان انسحاب القوات العثمانية من الأحساء من جهة أخرى . وهذا فى حد ذاته مكسب كبير للسلفيّين لأنه يخفف عليهم أعباء العمليات العسكرية وضغطها . وقد رد سعود على على باشا برسالة جاء فيها(٧) :

« جاءنا كتابكم وفهمنا معناه : فأما الحسا فهى قرية خارجة عن حكم الروم ولا تساوى التعب وما فيها شئ يوجب الشقاق . وأما الأطواب (الأسلاب) فهى عند والدى فى الدرعية إذا صدرت إليه أعرض الحال بين يديه . والوزير سليمان باشا أيضاً يكتب له . فإن صحت المصالحة وارتفع الشقاق من الطرفين فهى لكم وأنا الكفيل بها حتى أوصلها إلى البصرة . وأما مصاريفكم فأنى لم أملك من الأمر شيئاً والشورى فى يد والدى . وأما الأمنية (الأمن) فهى التى لازلنا نقاتل الناس عليها حتى جعلنا الأرض كلها وجميع المسلمين مشتركين فيها . وصار الذئب لا يقدر يضر الشاة فى أحكامنا » .

ويمكن التعرف على أسباب فشل حملة على باشا من خلال ما تحويه هذه الحملة من عناصر عسكرية متباينة . وإلى التشاحن الذى دب بين صفوف شيوخ العشائر البدوية التى شاركت فى الحملة المذكورة . هذا إلى جانب النشاط الدفاعى ثم الهجومى

الذى قام به السلفيون ضد قوات الحملة فى الهفوف وغيرها إضافة إلى هذا كله خبرة القوات السعودية فى حروب الصحراء وتحملها ما ينتج عن هذه الحروب من صعوبات . وفى الجانب الآخر فإن قوات على باشا لم تكن لديها الخبرة الكافية فى حروب الصحراء . ولم يكن لديها الاستعداد لتحمل متاعب هذه الحروب . أضف إلى هذا قلة خبرة على باشا نفسه فى مثل هذه الحروب وسوء إدارته فى معاملة قواته بخاصة قوات العشائر التى تلعب دوراً كبيراً فى مثل هذه الحروب[٨] . ويذكر صاحب لمع الشهاب فى سيرة محمد بن عبد الوهاب أن انقساماً حدث بين قادة على باشا وكان ذلك بتدبير ابراهيم بن عفيصان الذى قدم الأموال لعدد من هؤلاء . وكانت هناك مكاتبات بينهم وبين الإمام عبد العزيز بن محمد الذى تمكن من إغرائهم عن طريق الهدايا والهبات والأموال .

وقد أثبت فشل حملة على باشا على الأحساء أن ليس بمقدور ولاة بغداد عمل أى شئ يمكن به القضاء على الدولة السعودية الأولى أو على الأقل إضعافها بشكل لا تقوى معه من الامتداد خارج نجد وقد أدى هذا الأمر إلى إقتناع السلطات العثمانية فى استنبول بأن العراق العثمانى لا يصلح بحال من الأحوال أن يقود الحركة الهجومية العثمانية ضد السلفيين . وهذا بدوره أدى إلى استعانة السلطات العثمانية بالولايات العثمانية الأخرى غير العراق واسناد مهمة القضاء على الدولة السعودية إليها .

وكان رد الفعل السعودى عظيماً ضد جنوب العراق بخاصة بعد أن قتل الخزاعل الشيعة عدداً كبيراً من أتباع الدولة السعودية عام ١٢١٤هـ/١٧٩٩م قرب النجف وصل إلى حوالى ثلاثمائة رجل . وقد احتج السعوديون لدى والى بغداد فأرسل عبد العزيز بن عبد الله الشاوى إلى الإمام عبد العزيز بن محمد لتسوية الأمر بعد عودته من أداء فريضة الحج . وقد فشل هذا المبعوث وأخبر والى بغداد عن نية الدرعيّة فى أن يكون لها بلاد غرب الفرات من عانة إلى البصرة[٩] .

وفى عام ١٢١٦هـ/١٨٠١م هاجمت القوات السلفيّة جنوب العراق وهدمت القباب والأضرحة والمزارات وهدمت قبة قبر الحسين[١٠] . هذا ما جعل الدولة العثمانية ترسل أوامرها المشددة إلى والى بغداد من أجل أن يوقف الحملات السلفيّة . كما أن

الشاه أخذ يضغط على والى بغداد ويطلب منه أن يسمح لقواته بعبور العراق والزحف على الأحساء لمحاربة السلفيّين هناك[١١] .

وظلت الحملات السلفيّة تدخل مناطق جنوب العراق حتى أنه فى عام ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م وصلت هذه الحملات إلى أسوار مدينة كربلاء مرة ثانية[١٢] . وبعد هذا التاريخ توقفت الحملات السلفيّة على جنوب العراق لانشغالها فى الإعداد لمواجهة خطر الزحف العسكرى القادم من ولاية مصر عن طريق واليها محمد على الذى نفذ أوامر السلطان فأعد الحملات ضد الدرعية .

وعلينا أن نلاحظ أن ولاة العراق اتخذوا استراتيجية جديدة وهى تحصين المدن والقرى فى جنوب العراق وذلك لتكون فى موقف دفاعى قوى لأن دور الهجوم أصبح قد انقضى عهده وصار موقف ولاة العراق موقفاً دفاعياً فقط . ويمكن القول إن كل الحملات العسكرية العثمانية القادمة من العراق ضد الدولة السعودية الأولى بعد عام ١٢١٦هـ/١٨٠١م كانت حملات ضعيفة ولا فائدة ترجى منها وإنما هى إضاعة للوقت وليثبت ولاتها للسلطان أنهم ينفذون أوامره .

موقف أشـراف الحجـاز
مـن الـدّولة السّعـودية الأولىٰ

لم يكن موقف أشراف الحجاز بأفضل من غيره بالنسبة للدولة السعودية الأولى والدعوة السلفيّة . وبحكم أهمية الحجاز من الناحية الدينية . حيث تشكل قاعدة رئيسية فى هذا المجال . ففيها قبلة المسلمين التى يحجون إليها كل سنة . ومن هذا الإلتقاء برزت نقاط احتكاك بين السلفيّين والأشراف . فكان أن رفض الشريف مسعود بن سعيد السماح للحجاج السلفيّين بأداء فريضة الحج ومنعهم من دخول مكة المشرفة . وطلب من الشيخ محمد بن عبد الوهاب والإمام محمد بن سعود أن يرسلا بعض علماء الدعوة المناظرة علماء مكة . وبعد المناظرة لم يتوصل الطرفان إلى اتفاق .

وفى عام ١١٨٥هـ/١٧٧١م طلب الشريف أحمد بن سعيد من الإمام عبد العزيز ابن محمد والشيخ محمد بن عبد الوهاب أن يرسلا عالماً سلفياً ليوضح له ولعلماء الحجاز

حقيقة الدعوة السلفيّة ومبادئها . فأرسلت الدرعية الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الحصين ومعه رسالة محمد بن عبد الوهاب توضح مبادئ الدعوة . ومعه كذلك هدايا إلى الشريف أحمد . ويمكن القول إن الموقف بدأ يسير نوعاً ما إلى التحسن عندما اقتنع الشريف وعلماء مكة بمبادئ الدعوة(١٣) . والملاحظ أن هذا الاتفاق لم يدم طويلاً . ويبدو لنا أن الشريف أحمد كان فى وضع داخلى لا يسمح له بأن تكون علاقته مع جيرانه علاقة توتر . لذا فضل أن يكون فى موقف أكثر ملاينة من سلفه الشريف مسعود .

وفى عهد الشريف سرور بن مساعد الذى خلف الشريف أحمد بن سعيد أرسلت الدرعية طلباً للشريف كى يسمح للحجاج السلفيين بزيارة مكة لأداء فريضة الحج . إلاّ أن الشريف اشترط عليهم دفع ضريبة مقابل هذه الزيارة . هذا مادعا السلفيّين إلى رفض مطلبه . وبعد سنتين دخل الحجاج السلفيّون مكة بعد أن قدمت الهدايا للشريف سرور . وكان عدد الحجاج السلفيّين حوالى ثلاثمائة حاج(١٤) .

وعلينا أن نلاحظ هنا أن مبادئ الدعوة السلفية أخذت تتسرب إلى الحجاز وبواديها وهذا ما أربك الأشراف الذين أخذوا فيما بعد يقومون بحملات تأديبية ضد البوادى التى أخذت تعتنق مبادئ الدعوة السلفيّة .

وفى عهد الشريف غالب بن مساعد بن سعيد الذى تولى الشرافة بعد وفاة أخيه سرور ، طلب من الإمام عبد العزيز والشيخ محمد أن يرسلا عالماً سلفياً ليطلعه على حقيقة مبادئ الدعوة . فأرسلت الدرعيّة العالم عبد العزيز بن عبد الله الحصين مرة ثانية إلى مكة . إلاّ أن المناظرات والمناقشات هذه لم تصل إلى حد إقناع الأشراف وعلماء مكة بمبادئ الدعوة . والجدير بالذكر أن الشريف غالب كان قد اقتنع فى بداية الأمر بمبادئ الدعوة(١٥) . إلا أنه عاد فرفضها ومنع الحجاج السلفيّين من دخول مكة خوفاً من تسرب مبادئ دعوتهم . وبهذا فإن حدة التوتر بين السلفيّين والأشراف أخذت تزداد بخاصة بعد الموقف العدائى الذى اتخذه الشريف غالب تجاه الدعوة والسلفيّين .

أرسل الشريف غالب عام ١٢٠٥/١٧٩٠م حملة عسكرية ضد الدولة السعودية الأولى . فوصلت الحملة بقيادة الشريف عبد العزيز إلى منطقة السر وحاصرت حصن قصر ابن بسام . إلاّ أن هذه الحملة لم تعط النتيجة التى كان يتوقعها الشريف .

ونلاحظ أن الدولة السعودية كانت وقتها مهتمة بالأحساء ومركزة قوتها ضد بنى خالد فى الشرق . ويذكر لنا صاحب لمع الشهاب أن اتصالاً حدث بين عبد المحسن بن سرداح فى الأحساء وبين الشريف غالب وذلك من أجل توحيد جهودها ضد الدرعيّة من جهتى الشرق والغرب ، مقتنعين بأن هذا التحالف يجعل الدولة السعودية الأولى بين فكى كماشة : من الشرق ومن الغرب ومن الشمال الشرقى ، حيث العراق العثمانى .

أرسلت الدرعية قوة عسكرية بقيادة الأمير سعود وتحت أمرته مجموعة من أمراء المناطق . وأخذت هذه القوات تلاحق القوات الحجازية التى انتقلت من منطقة السر إلى الشعراء . ممّا جعل الشريف عبد العزيز يطلب النجدة من أخيه الشريف غالب الذى جاء على رأس جيش حجازى إلى المنطقة ولكن مجئ هذا الجيش لم يعط نتيجة ولم يحسم الموقف ، فعادت القوات الحجازية إلى بلادها دون أن تحقق مكسباً .

ونلاحظ أن الشريف غالب أحدث تغييراً فى استراتيجيته العسكرية ، فأخذ يرسل الحملات العسكرية ضد القبائل التى اعتنقت الدعوة وانضمت بتأييدها السياسى إلى الدرعيّة . وكانت هذه الاستراتيجية بداية ضعف الشريف غالب لأنه الآن سيصطدم بقوتين : قوة الدرعيّة وقوة القبائل المتنقلة التى كانت قد دوخت الكثير من السلطات السياسية فى المنطقة وخارجها .

أغار جيش الشريف على جموع قحطان برئاسة شيخها هادى بن قرملة الذى كان قد انضم للدرعيّة واعتنق وجماعته الدعوة السلفيّة . وقد أحرزت قوات الشريف بعض انتصارات على القبائل عام ١٢١٠هـ/١٧٩٥م عند ماء « ماسل » إلى الجنوب الشرقى من الدوادمى .

وهذا الانتصار جعل الشريف يرسل حملات أخرى ضد هادى وقبيلته فى مكان ماء « الجمانية » التى تقع فى عالية نجد . وكان هذا الجيش بقيادة الشريف ناصر بن يحيى . وكان الشريف فى موقفه هذا يستغل انشغال حكومة الدرعيّة فى تثبيت مركزها ونشر دعوتها فى المناطق الشرقية .

ومع هذا فان الإمام عبد العزيز أرسل تعزيزات لمساندة قحطان ضد هجوم الأشراف عليها . فأمر ربيع بن زيد أمير الدواسر بأن يسير بغزوه لمساندة هادى

وقبيلته . وقد حققت القوات السلفية نصراً كبيراً على قوات الشريف عام ١٢١٠هـ/١٧٩٥ م[16] .

لقد استغل الشريف غالب فرصة انشغال الدولة فى الشمال فجرد حملة عسكرية قوية ضد القبائل التى اعتنقت الدعوة وأيدت الدولة السعودية فى مناطق رنية وبيشة وتربة وغيرها . وقد حقق جيش الشريف فى بداية الأمر انتصاراً على القبائل المؤيدة للدعوة فأرسلت الدولة جيشاً قوياً تقابل مع جيش الشريف وانتصر عليه انتصاراً حاسماً عام ١٢١٢هـ/١٧٩٧م . وغنم الجيش السعودى غنائم كثيرة بعد أن ترك جيش الشريف معظم عتاده ومؤنة وخيامه عند خرمه . وعلى إثر هذه الوقعة طلب الشريف غالب الصلح من حكومة الدرعيّة التى وافقت على هذا الطلب وظل هذا الصلح سارى المفعول حتى عام ١٢١٧هـ/١٨١٢ م .

وعلينا أن نلاحظ هنا أن الكثير من القبائل القاطنة جنوب الحجاز اعتنقت الدعوة السلفيّة وأصبحت سنداً قوياً مؤيداً للدرعيّة . كما أن الإمام عبد العزيز كان قد أرسل مجموعة من علماء الدعوة إلى مناطق عسير وتهامة واليمن لشرح مبادئ الدعوة بين السكان فى هذه المناطق . وقد لقيت الدعوة تأييداً كبيراً فى هذه المناطق . فكان هذا عاملاً قوياً من عوامل ضعف الشريف غالب عندما أصبح محاطاً بالسلفيّين من كل الجهات ، حتى فى الداخل حيث أخذت تنتشر مبادئ الدعوة بين السكان فى الحجاز . وبهذا انتقل الشريف غالب من موقفه الهجومى كما رأينا سابقاً إلى موقف دفاعى ثم استسلامى كما سنرى بعد ذلك .

والجدير بالذكر أن الدولة العثمانية لم تساعد الشريف غالب حتى الآن لأنها لم تكن راضية عنه . ولأنها كانت مشغولة فى تصريف مشكلاتها الداخلية والخارجية حيث قيام عهد التنظيمات الاصلاحية فيها .

يقول أحمد زينى دحلان المؤرخ الحجازى المعاصر فى كتابة « خلاصة الكلام فى أمراء البيت الحرام » ، ص ٢٦٦ ما يلى :

« أرسل مولانا الشريف (غالب) للدولة العليّة يخبرهم بظهور أمر الوهابية (السلفية) وإرسل لذلك السيد محسناً بن عبد الله الحمود والسيد حسيناً مفتى المالكية فلم تكترث

الدولة لهذا ولم تلتفت إليه » .

ونلاحظ كذلك أن الدولة السعودية كانت أثناء انشغالها فى الشرق والشمال تأمر أمراءها فى نجد للقيام بحملات تأديبية ضد القبائل المؤيدة للشريف غالب . وهذا ما حدث فى الأعوام الواقعة ما بين ١٢٠٨ هـ/١٧٩٣م حتى ١٢١٣هـ/١٧٩٨ م . ومن الأمثلة على ذلك ما قام به عبد الله بن محمد بن معيقل ، ومحمد بن معيقل أمراء شقراء من غزو لقبائل عتيبة وذلك كرد فعل لما قام به الشريف فهيد من غزو ضد قحطان . وما قام به أمراء الدواسر ، كربيع بن زيد الدوسرى رئيس قبائل وادى الدواسر ومحمد ابن ربيعان رئيس قبائل عتيبة وهادى بن قرملة رئيس قبائل قحطان وغيرهم[١٧] .

ونلاحظ كذلك أن انتصار الجيش السلفى فى تربة على جيش الشريف غالب كان بداية الطريق لدخول الطائف لأن تربة مفتاح الطائف والطائف مفتاح مكة .

لقد انتفض وزير الشريف غالب عليه وكان هذا الوزير يدعى « عثمان بن عبد الرحمن المضايفى » وأعلن هذا انضمامه إلى الدرعيّة . وكان لهذا الانضمام أثر كبير لأن الكثير من مؤيدى المضايفى قد انسلخوا عن الشريف غالب . كما أن الدولة السعودية أمرت المضايفى على الجيش الموجه لحرب الأشراف فى الطائف . والجدير بالذكر أن المضايفى هو صهر للشريف غالب بن مساعد الذى أخذ يتهمه بممالأة الدرعيّة . حاصر المضايفى مدينة الطائف التى استسلمت بعد انسحاب الشريف غالب إلى مكة وبعد أن كانت القوات السعودية القادمة من الدرعيّة قد وصلت لمعاونة المضايفى عام ١٢١٧هـ/١٨٠٣م وعينت الدرعيّة المضايفى أميراً على الطائف والمناطق التابعة لها[١٨] .

وبعد ذلك اتجهت قوات الدرعية بقيادة الأمير سعود الذى جمع الغزو السعودى وتوجه به نحو الحجاز . وعند وصوله الطائف انضم اليه المضايفى وزحفت الجيوش السلفيّة الكثيفة نحو مكة وكان ذلك فى موسم الحج . وقد انتظر الأمير سعود حتى انقضى هذا الموسم وانصرف الحجاج إلى ديارهم . ولما شعر الشريف غالب بعدم قدرته على مقابلة هذا الجيش ترك مكة وتوجه إلى جدة وترك الأمر فى مكة لأخيه الشريف عبد المعين بن مساعد الذى أعلن طاعته واستعداده لتسليم مكة على أن يبقى فى شرافتها . فقبل الأمير سعود الذى كان يعسكر فى وادى السيل بين مكة والطائف . وهكذا دخل

السلفيّون مكة . وقرئ على منبر الحرم الشريف كتاب الأمان العام لأهل مكة . واليكم نص الكتاب المعطى من الأمير سعود إلى وفد الشريف عبد المعين :

من سعود بن عبد العزيز :

إلى كافة أهل مكة والعلماء والأغاوات وقاضي السلطان

السلام على من اتبع الهدى .. أما بعد :

« فأنتم جيران وسكان حرمه آمون بأمنه إنما ندعوكم لدين الله ورسوله » **قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** » من سورة آل عمران آية ٦٤ . فأنتم فى وجه الله ووجه أمير المسلمين سعود بن عبد العزيز وأميركم عبد المعين بن مساعد فاسمعوا له وأطيعوا ما أطاع الله والسلام » .

دخل الأمير سعود مكة يوم السبت فى ٨ محرم ١٢١٨هـ/١٨٠٣م . وفى مكة ألقى الأمير سعود خطاباً طويلاً وضح فيه مبادئ الدعوة السلفيّة ودعا الناس إلى هدم القباب المقامة على بعض القبور فهدمت . وأمر بتدريس كتاب «كشف الشهباب » فى المسجد الحرام فى حلقة عامة يحضرها العلماء والأهالى .

أرسل الأمير سعود إلى السلطان سليم الثالث بهذا الكتاب :

« إنى دخلت مكه ، وأمنت أهلها على أرواحهم وأموالهم بعد أن هدمت ما هناك من أشباه الوثنية وألغيت الضرائب إلا ما كان منها حقاً . وثبت القاضى الذى وليته أنت طبقاً للشرع الإسلامى . فعليك أن تمنع والى دمشق ووالى القاهرة من المجئ إلى هذا البلد المقدس بالمحمل والطبول والزمور فإن ذلك ليس فى الدين فى شئ »(١٩) .

لقد حاصر الأمير سعود جدة ولم يستطع دخولها لأنها أحيطت بالخنادق وبقوة كبيرة من الشريف غالب . وكانت المدينة محصنة لأنها مركز اقتصادى واستراتيجى مهم بالنسبة للدولة العثمانية فى الحجاز ومناطق غربى الجزيرة العربية .

وبعد عودة الأمير سعود إلى الدرعية عاد الشريف غالب فدخل مكة دون معارضة أخيه عبد المعين . ثم تقدم إلى الطائف وكان فيها المضايفى واتباعه فحاصر الشريف الطائف وأثناء ذلك جاء خبر وفاة الأمام عبد العزيز بن محمد بن سعود عام

١٢١٨هـ ،وتعيين ابنه سعوداً إماماً للدولة السعودية الأولى .

وبعد وصول نبأ استرداد مكة من قبل الشريف غالب إلى الدرعيّة ، قرر الإمام سعود أن يضع حداً لتصرفات الشريف غالب . فأمر غزوه فى مناطق عسير ونواحى تهامة بمهاجمة جدة . وترأس عبد الوهاب أبو نقطة هذه القوات . ثم بنت الدرعيّة حصناً قوياً فى وادى فاطمة عام ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م ووضعت فيه قوة كبيرة أخذت تهاجم قواعد الشريف غالب فى المنطقة . ثم أرسلت الدرعيّة قوات كثيفة صوب مكة فحاصرتها وسدت على الشريف جميع الطرق لإضعافه عسكرياً واقتصادياً ، فأدرك الشريف غالب أن الأمر ليس بجانبه فاضطر إلى طلب الصلح على شرط أن يبقى أميراً على مكة تابعاً للدرعيّة . وبهذا عادت مكة تتبع حكومة الدرعيّة ثم تقدمت القوات السلفيّة فدخلت المدينة المنورة عام ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م .

ونلاحظ هنا أن دخول الدولة السعودية مكة والطائف والمدينة وتبعية جدة لها ، أدى بالدولة العثمانية إلى أن تتخذ موقفاً شديداً تجاه هذه المسألة . ومن هنا كانت بداية احتكاك الدولة العثمانية بالدولة السعودية عن طريق ولاتها فى الشام ، وعندما عرفت الدولة العثمانية أن ولاة الشام لا يستطيعون عمل أى شىء مجدٍ لها قررت الاتصال بواليها محمد على باشا فى مصر .

وهكذا انتشرت الدعوة فى الحجاز ، ونادت بمبادئها جميع حجيج الشام ومصر والعراق بأن يأتوا للحج بدون محمل أو طبول أو زمور .

ويمكن القول إن الدولة العثمانية ظلت تواجه الدولة السعودية الأولى مواجهة غير جادة ولم تصل إلى مستوى الدرجة القصوى ، بل ظلت تركز على حصر الدولة السعودية فى إقليم نجد . إلاّ أن هذا الموقف تغير تماماً بعد وصول القوات السعودية إقليم الحجاز . فغدت الدولة العثمانية تواجه خطراً اعتبرته الآن تحدٍ دينى وسياسى لوجودها . فقد فقدت تبعية المناطق التى دخلتها الدولة السعودية من جهة وخسرت لقبها « حامية الحرمين الشريفيين » ، وبذلك خسر سلطانها مركزاً روحياً كان يتمتع به فى جميع أنحاء العالم الإسلامى من جهة ثانية . وتأسياً على هذا الموقف فإن رد الفعل العثمانى فى هذه المرحلة اتصف بالرد العنيف ويختلف فى مرحلته هذه عن مراحل النزاع العثمانى السعودى

السابق . ويمكن القول إن دخول السعوديين منطقة الحجاز كانت بداية النهاية للدولة السعودية الأولى .

موقف ولاة الشام

تشير المصادر النجدية أن الإمام محمد بن سعود أرسل بعضاً من قواته سنة ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م إلى دومة الجندل . ونازلت هذه القوات أهل هذه المنطقة . يقول ابن بشر فى هذا الصدد ما يلى[٢٠] :

« أمر عبد العزيز على أهل الوشم والقصيم وجبل شمر ينفرون غزاة مع أمرائهم فسار أهل الوشم مع محمد بن معيقل ، وأهل القصيم مع محمد بن عبد الله آل حسن ، وأهل الجبل مع أميرهم محمد بن على ، وأمرهم أن يسيروا إلى دومة الجندل المعروف بجوف آل عمرو فى الشمال ، فسار الجميع وأميرهم محمد بن معيقل ، ونازلوا أهل تلك الناحية وأخذوا منها ثلاث بلدان ، ثم حاصروا الباقين وقتلوا منهم عدة قتلى ، فلم يزالوا محاصرين حتى بايعوا على دين الله ورسوله والسمع والطاعة .... » .

ومن هنا نلاحظ أنه لأول مرة تصل القوات السلفيّة أرض بلاد الشام فى ظل ولاة الشام وتنتشر دعوتها هناك وقد اعتنقها عدد من سكان المنطقة فيكونوا بذلك ركيزة من الركائز التى ترتكز عليها الدولة السعودية فى مناطق بلاد الشام ، بخاصة وأن القوات السعودية كانت قد مارست عملية نشر مبادئ دعوتها وأدخلتها إلى حيز التطبيق أثناء وجودها فى المنطقة .

وفى عام ١٢١٢هـ/١٧٩٧م أرسل الإمام عبد العزيز بن محمد حجيلان بن حمد أمير ناحية القصيم على رأس جيش من أهل القصيم إلى بلاد الشام فأغارت القوات السعودية على بوادى الشرارات وقتلت عدداً يصل فى حدود مائة وعشرين رجلاً وغنمت من الإبل نحو خمسة آلاف إلى جانب الأغنام والأموال والمتاع . يقول عثمان بن بشر ما يلى[٢١] .

« وفيها غزا حجيلان بن حمد أمير ناحية القصيم بجيش من أهل القصيم وقصدوا أرض الشام وأغاروا على بوادى الشرارات فانهزموا فقتل منهم مائة وعشرين رجلاً

وأخذوا من الإبل نحو خمسة آلاف بعير وأغناماً كثيرة وأكثر حللهم وأمتعتهم وأزوادهم وعزلت الأخماس وأخذها عمال عبد العزيز وقسم ما فيها فى ذلك الجيش غنيمة للراجل سهم وللفارس سهمان »

نلاحظ من الأحداث السالفة الذكر أن القوات التى كانت توجهها الدولة السعودية إلى بلاد الشام كانت من مناطق شمالى نجد وذلك لقربها من بلاد الشام ومعرفتها واحتكاكها بمناطقها بخاصة المناطق الشامية الملاصقة والبوادى الشامية المجاورة .

ونلاحظ من هذه الحملات أنها استطاعت أن تنشر مبادئ الدعوة السلفيّة فى المنطقة وتأخذ الزكاة من سكانها ، ووصلت زكاة أهل بادية الشام عام ١٢١٨هـ ست نجائب محملة بالريالات . يقول ابن بشر ما يلى[٢٢] : « وأخبرنى أنه ظهر مع عمال من حلب الشام قاصدين الدرعيّة وهم أهل ست نجائب محملات ريال زكوات بوادى أهل الشام ، فإذا جنهم الليل وأرادوا النوم نبذوا أرحلهم ودارهم يميناً وشمالاً إلاّ ما يجعلونه وسائد تحت رؤوسهم » . ويترتب على عملية دفع الزكاة هذه مفهوم التبعية السياسية للإمام السعودى فى الدرعيّة . وهذا يبيّن أن الكثير من سكان بادية الشام كانوا لا يدينون بولائهم وتبعيتهم السياسية لولاة الشام . وممّا يركز مفهوم التبعية السياسية لهؤلاء اعتناقهم مبادئ الدعوة السلفيّة .

عندما امتدت الدولة السعودية بدعوتها إلى بلاد الحجاز ، أصبحت فى وضع جعلها على احتكاك مباشر بالسلطة العثمانية . وكانت بداية هذا الاحتكاك عندما طلب الإمام سعود بن عبد العزيز من أمير الحج الشامى عبد الله باشا العظم أن لا يأتى الحج بالمحمل والطبول والزمور .. إلخ . وكادت تقع مصادمات بين الجند السلفى وبين جند عبد الله باشا العظم الذى لم يكن فى موقف عسكرى يسمح له بمقابلة السلفيين . وعلى إثر ذلك عزل السلطان عبد الله باشا العظم من منصبه واعتبره تقاعس عن مواجهة القوات السلفيّة وعين بدلاً منه يوسف كنج . وأصدر السلطان أوامره المشددة ليوسف كنج لإرسال الحملات العسكرية ضد السلفييّن ، إلا أن يوسف هذا لم يقم بأى عمل إيجابى فعال . بل كان دائماً يشغل حكومة السلطان بالتقارير الخاصة بإعداد الخطط

والدراسات اللازمة لتسيير هذه الحملات . كما أن كنج كان قد اقترح أن تشترك معه ولاية مصر إعداد الحملات للقيام بالمهمة الموكلة إليه .

وفى فترة المكاتبات بين السلطان ويوسف كنج قام الإمام سعود الكبير بحملات عسكرية ضد بوادى الشام . فوصلت الحملات السلفيّة إلى ما وراء جبل الشيخ وهكذا وصلت طلائع السلفيّين سهل حوارن .

كاتب الإمام سعود الكبير ولاة الشام ودعا سكانها إلى اعتناق مبادئ الدعوة السلفيّة فكان لهذا الأمر صداه الواسع فى الدولة العثمانية . فأصدر السلطان محمود الثانى أوامره بعزل يوسف كنج ومصادرة أمواله واعتبره خارجاً عن أوامره . وأنه ظل يموه السلطان هذه الفترة ، وأن ليس باستطاعته عمل أى شئ ضد السلفيّين . وبعد هذا العزل عين سليمان باشا والياً على إيالة الشام . وطلب السلطان طيلة من هذا الوالى الجديد أن يراسل والى مصر محمد على باشا وذلك لتنسيق جهودهما ضد الدرعيّة . إلاّ أن سليمان ومحمد على باشا لم يكونا على وفاق : لذا اتجهت الدولة بانظارها إلى والى مصر الذى يمكنه تحقيق هدفها(٢٣) .

موقف الدّولة العثمانية من الدّولة السّعودية الأولىٰ عن طريق واليها مُحمّد عَلي

بعد فشل ولاية العراق من ضرب السلفيّين والقضاء على دولتهم وبعد أن جربت الدولة موقف أشراف الحجاز وعملهم المضاد ضد الدولة السعودية ، حيث لم يعط النتائج المطلوبة . وبعد أن جربت رد الفعل الشامى تجاه السلفيّين . بعد هذه المحاولات جميعها ، قررت الدولة العثمانية أن تكلف واليها فى مصر للقيام بمهمة القضاء على الدولة السعودية . والجدير بالذكر أن الدولة العثمانية كانت قد قررت القضاء على الدولة السعودية من خلال جيوش ولاتها العربية ومن خلال استخدام إقتصاد وطاقات هذه الولايات بخاصة وأن الدولة العثمانية مشغولة فى أمورها الداخلية من جهة وأمور خارجية من جهة ثانية .

وكانت هناك ثمة مجموعة من الدوافع والعوامل التى أدت بالدولة العثمانية إلى

تكليف محمد على للقيام بهذه المهمة الصعبة والخطيرة . فقد نظرت الدولة العثمانية إلى ولاية مصر على أنها ولاية كبيرة وإمكاناتها أكثر من إمكانات الولايات العربية العثمانية الأخرى . هذا وأن مصر لها تجارب سياسية وإدارية وعسكرية واقتصادية مع الجزء الغربى من الجزيرة العربية بخاصة منطقة الحجاز منها . ولم تكن هذه التجارب وليدة فترة زمنية محدودة أو حقبة تاريخية محددة . وإنما هى تجارب ممتدة على عدة فترات وأحقاب تاريخية متشابكة ومتعاقبة . وأن فى هذا التكليف جس نبض لمحمد على باشا والى مصر العثمانى الجديد . فالتكليف العثمانى لمحمد على ما هو إلاّ امتحان للأخير فإن اجتازه كان خيراً وإلاّ أثبت عجزه وبالتالى عدم صلاحيته لتولى قيادة أكبر الولايات العربية العثمانية . ولم يكن مصيره إذا تمرد ولم ينفذ أوامر السلطان بأحسن من مصيره فى حال انكساره وعجزه . وهناك من الآراء القائلة بأن تكليف محمد على للقيام بهذه المهمة ما هو إلاّ من أجل إضعافه وإبقائه والياً مطيعاً للدولة ، وهى بذلك تضرب عصفورين بحجر واحد . فإذا لم تصب كلتا الحسنيين فلا تعدم إحداهما : إضعاف محمد على باشا وإضعاف الدولة السعودية والقضاء عليها ، وهذا هو بيت القصيد . كما أن التكليف يحمل مفهوم التورية . فهو أيضاً يحمل مفهوم الثقة التى تضعها الدولة العثمانية فى شخص محمد على عندما تكلفه بهذا العمل الخطير .

إن هذا التكليف كان فيه ما يفيد محمد على ولو فائدة معنوية أكثر منها مادياً . فقد عدّه محمد على ضرورة ملحة لتدريب جيشه على الحروب خارج مصر بخاصة حروب الصحراء . وفى الجانب الآخر من الفائدة الشخصية لمحمد على فالحرب وسيلة للتخلص من القادة المتعبين لحكمه والأفراد والقوات التى يشعر منها ومن قادتها بانها خطر تهدد مركزه فى مصر . ونظر محمد على إلى هذا التكليف بأنه فرصة سانحة لتقوية قواته بخاصة الأسطول منها . وهى مفيدة له أيضاً لأنه بدأ يطالب بثمن هذه الحملة من أموال وسلاح وعتاد وخشب من ولاية الشام التى بدأ محمد على باشا يحلم بمد نفوذه عليها فى المستقبل لتتضافر جهود الولايتين فى حرب السلفيّين . ونظر محمد على إلى سمعته فى نهاية المطاف عندما تحقق قواته نجاحاً كاملاً على الدولة السعودية أو نجاحاً جزئياً فى أخذ

الحجاز منها ، ففى نظره أن هذا العمل سيكسبه سمعة كبيرة فى جميع الولايات العثمانية بخاصة بعد إعادته الحجاز والسماح للحجاج فى الولايات العثمانية بممارسة الحج وهى تحمل معها محاملها وما يرافق ذلك من أعمال رفضتها الدولة السعودية على اعتبارها بدعة لا يرضى بها الدين الإسلامى .

إن أول تكليف ورد لمحمد على كان من قبل السلطان مصطفى الرابع عام ١٢٢٢هـ/١٨٠٧م . ونستند فى ذلك على ما أوردته الوثائق المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة(٢٤) .

وقد اعتذر محمد على فى بادئ الأمر متعللاً بظروف ولايته الإقتصادية بخاصة فى أعقاب ما حل بمصر من إنخفاض الفيضان واستيلاء المماليك على جهة الصعيد . وقد تعلل أيضاً بمخاوفة من أطماع الدول الأوربية فى مصر(٢٥) .

الحت الدولة العثمانية على محمد على حتى خشى أن يكون هناك شرك تنصبه له . ففى هذه الحالة بدأ يقبل التكليف لكنه تعلل بأن قوته العسكرية غير كافية . كما أنه بدأ يثير مشكلة تخوفه من والى الشام سليمان باشا . لذا أخذ يطالب الدولة بعزل هذا الوالى . والواقع أن محمد على كان يتطلع أن تسند إليه ولاية الشام بالإضافة إلى ولاية مصر .

ونلاحظ هنا أن الدولة العثمانية كانت تريد تسيير قوات محمد على باشا بأى ثمن إلى الجزيرة . وأن محمد على كان قد استغل هذه المهمة من أجل تثبيت سلطته فى داخل ولايته من جهة ، ومطالبته بتوسيع نفوذه على حساب ولاية الشام من جهة أخرى . وهذه ملامح تعطينا صورة واضحة عن أطماع محمد على باشا منذ بداية ظهوره على المسرح السياسى .

ونلاحظ كذلك أن محمد على أعد الحملة من اقتصاد ولايته وساعده فى ذلك سر تجار القاهرة السيد محمد المحروقى . ولم تساهم الدولة العثمانية فى الحملة الأولى إلا بعدد قليل من المدافع .

ونلاحظ كذلك أن محمد على كان يرى فى إرسال هذه الحملات شهرة له وسمعة كبيرة عليها سيبنى استراتيجيته السياسية فى المستقبل .

الحمـلة الأولىٰ
(حمـلة أحمَـد طوسـون)

بدأت الحملة الأولى السفر فى ١٩ رجب ١٢٢٦هـ/١٨١١م . وكانت على دفعتين . وهى تتألف من ٨٠٠٠ جندى . خمسة من المشاة والمدفعية سافروا عن طريق البر بواسطة السفن . والباقى فريق الفرسان الذين سافروا بطريق البحر عبر العقبة إلى ينبع وكان على رأسهم قائد الحملة أحمد طوسون بن محمد على باشا . وفى ينبع تكون نقطة تجمع القوات البرية والبحرية .

حاول محمد على وكذلك من قبله السلطان أن يستميلا الشريف غالب بن مساعد عن طريق رسائل كان ينقلها إليه التجار فى جدة .

وصلت القوات إلى ينبع التى كانت تدار من قبل جهينة المؤيدة للدرعيّة والتى اعتنق أفرادها مبادئ الدعوة السلفيّة . ولم يكلف نزول القوات فى ينبع أى صعوبة تذكر . وهنا أخذ طوسون يغدق الأموال على القبائل القاطنة فى الموانئ الحجازية لتكون سنداً لقواته وليستطيع تأجير جمالها لنقل المؤن والمعدات فى الداخل .

اشتبكت القوات الزاحفة فى وادى الصفراء مع القوات السلفيّة بقيادة عبد الله بن سعود وسعود بن مضيان . وكانت القوات السلفيّة قد تمركزت فى القمم الجبلية على أطراف الوادى . وكانت النتيجة أن انتصرت قوات المسلمين على قوات محمد على وفر أحمد طوسون إلى ينبع وتشتت شمل القوات التابعة له ، وهكذا غنمت القوات السلفيّة الغنائم الكثيرة من المؤن والعتاد والمدافع .

وبعد هذه الهزيمة كتب محمد على للسلطان يطلب منه العون العسكرى ويطلب منه أن يضم إليه ولاية الشام لأنها قريبة من الحجاز وبإمكانها تسهيل نقل الجنود والمؤن والعتاد بالبر إلى منطقة القتال . إلاّ أن الباب العالى عقد جلسة حضرها مجلس الشورى . وكان الرد فيه تخوف شديد من أطماع محمد على . لذا عرف محمد على صعوبة تحقيق مطلبه «ضم الشام» فأجل الأمر لحينه . ورمى بكل ثقله فى القتال .

وصلت إمدادات لطوسون بقيادة أحمد بن نابرت (الخازندار) عام

١٢٢٧هـ/١٨١٢م . وبعد ذلك نقل طوسون مركز قيادته إلى بدر ، وهناك نظم قواته وزحف بها إلى وادى الصفراء فتمكن من احتلاله[٢٦] .

ثم تقدمت قوات طوسون إلى المدينة المنورة وحاصرتها وأخذت تفتح الثغرات فى سورها بواسطة المتفجرات والمدافع . وبعد حصار طويل دخلت هذه القوات المدينة المنورة . ويذكر المؤرخ ابن بشر أن خيانة الشريف غالب كانت سبباً قوياً من أسباب اضطرار الحامية السعودية إلى الاستسلام[٢٧] .

ونلاحظ كذلك أن الشريف غالب سمح لقوات طوسون بدخول جدة وهكذا حصلت قوات طوسون على مرفأ حجازى هام لاستراتيجيتها العسكرية فى الحجاز وكان ذلك عام ١٢٢٨هـ/١٨١٣م . وهكذا أخذت قوات طوسون تعد العدة للسير نحو مكة المكرمة .

وبمساندة الشريف غالب وتأييده تمكنت قوات حملة طوسون من دخول مكة بعد أن كانت القوات السلفيّة قد انسحبت إلى بلدة العبيلا[٢٨] قرب الطائف واتخذتها معسكراً عامًا لها . ثم تقدمت القوات فاحتل العبيلا بعد أن انسحبت منها القوات السلفيّة إلى الأراضى النجدية فى العام نفسه .

ونلاحظ أن القوات السلفيّة كانت قد خططت لاستراتيجية عسكرية جديدة وهى إخلاء مواقعها تدريجياً وتركيز قوتها فى الأراضى النجدية . ثم استدراج قوات طوسون تدريجياً إلى نجد حيث المناطق التى تجهلها هذه القوات ولم تعتد الحرب فيها . وتكون بذلك أبعدتها عن مراكز المؤن والعتاد وعن مراكز قيادتها الرئيسية وبهذا يكون من السهل الإنقضاض عليها .

اتخذت القوات السلفيّة خطط هجومية جديدة على القوات الزاحفة صوب نجد . فقاد الإمام سعود جيشاً زحف به صوب الحناكيّة للسيطرة على الطريق الرئيسى بين المدينة والقصيم . ونجح هذا الجيش فى أسر قوات طوسون وإرسالها إلى والى العراق، تحت حراسة أمير جبل شمر . ثم قام جيش سعود بعدد من الحملات التأديبية ضد البدو الذين أيدوا القوات الزاحفة .

ثم سار جيش سعودى آخر بقيادة فيصل بن سعود واتخذ من بلدة تربة مركزًا له .

وتمكن هذا الجيش مع النجدات المساعدة له من إنزال هزيمة ساحقة بقوات طوسون التى كانت بقيادة مصطفى بك رئيس الفرسان والشريف راجح .

أخبر طوسون والده بأمر هزيمة قواته فى تربة . كما أخبره بأنه لايعلم شيئًا عن قواته فى الحناكيّة لأن القوات السعودية كانت قد سيطرت على الطريق الواصل بين القصيم والمدينة المنورة . وأعلمه كذلك أن القوات السعودية أخذت تخضع القبائل الموالية لقواته . وكانت هذه الصورة عن الوضع العسكرى لقوات طوسون تتطلب من محمد على أن يرسل قوات أخرى إلى المنطقة .

تباحث السلفيّون وممثلوا محمد على من أجل إيجاد صلح بينهما ، إلا أن الأمور التى نوقشت بين الطرفين لم يتوصل لحل لها ، هذا ما أدى إلى فشل محاولة الصلح .

وقد تطلب كذلك مجئ محمد على بنفسه إلى الحجاز ليقود المعارك ويشرف على الخطط العسكرية فكان على القوات السلفيّة أن تتخذ خططًا جديدة للحرب التى دخلت فى دورها الثانى ، على اعتبار أن حملة طوسون تعدّ المرحلة الأولى من مرحلة الحروب بين السلفيّين وقوات محمد على .

وصُــول مُحمّد عَـلِى
إلىٰ جَـــدّة

وصل محمد على جدة عام ١٢٢٨هـ/١٨١٣م . وفيها رسم خطة جديدة للحرب اعتمد فيها على العربان بعد إغرائهم بالأموال والهدايا . وجعل جدة المستودع الرئيسى للعتاد . واهتم بوسائل النقل لنقل العتاد والمؤن إلى الداخل . وكان قد استأجر عشرين سفينة ولمدة سنة كاملة من سلطان مسقط . وخوفًا من عامل المفاجأة أقام مجموعة من الحاميات فى النقط الرئيسية والهامة ثم جعل مركز قيادة أبنه طوسون فى الطائف . كما أن محمد على القى القبض على الشريف غالب لأنه لا يثق به ولأنه كثير التردد . فصادر أمواله وأرسله إلى القاهرة عام ١٢٢٨هـ/١٨١٣م . وقد جعل هذا الحادث الأشراف لا يثقون بمحمد على ، لذا انشق الشريف راجح عن محمد على وكان هذا الشريف قد عين على شرافة مكة بعد عزل شريفها السابق الشريف غالب . وكان هذا الموقف قد

أحرج محمد على ، هذا إلى جانب فشل هجوم طوسون على تربة وانهزام جيشه أمام الجيش السلفى هناك . كما أن قوات محمد على فشلت فى السيطرة على القنفذة فى الجنوب بفضل شدة مقاومة القائد السعودى طامى بن شعيب واستيلائه على آبار الماء فى المنطقة .

وأثناء هذه الظروف التى هى بجانب السلفيّين توفى الإمام سعود الكبير عام ١٢٢٩هـ/١٨١٤م . وكان هذا الإمام يتحلى بشخصية عسكرية وإدارية قوية . وقد خلفه من بعده فى إمامة الدولة السعودية الأولى ابنه عبد الله بن سعود .

وأثناء ذلك تمكنت القوات السعودية من إحراز نصر كبير لها فى الجنوب فى حصن « بخروش علاش » الذى كان تحت قيادة طامى بن شعيب . ولاحقت القوات السعودية قوات محمد على حتى الطائف . ولولا وصول قوات برئاسة محمد على بنفسه لمساعدة القوات المحاصرة لكان الموقف يهدد بالقضاء على قوات طوسون فيها . وبهذا فان قوات محمد على منيت بهزيمة فى وادى زهران وقرب مدينة الطائف .

وعلى أثر هذه المعارك عاد محمد على وأبنه طوسون إلى مكة عام ١٢٢٩هـ/١٨١٤م . ومنها إلى جدة . وهناك أخذا يدربان الجيش تدريبًا قاسيًا لمدة ثلاثة شهور استعدادًا للمعارك القادمة [٢٩]

وفى محرم ١٢٣٠هـ/١٨١٥م قامت بين قوات محمد على الذى شارك فى المعركة وبين قوات السلفيّين معركة حامية الوطيس فى « بسل » الواقعة بين الطائف وتربة تمكنت قوات محمد على من احتلال هذا الموقع السعودى . وكان قائد القوات السعودية آنذاك فيصل بن سعود . وبعدها زحفت قوات محمد على واحتلت تربة التى أصبحت فيما بعد معسكراً عامًا لقوات محمد على بدلاً من الطائف وينبع .

وبعدها صدرت الأوامر لمحمد على من الباب العالى لأن يوجه حملات عسكرية ضد قبائل عسير المؤيدة لآل سعود . فسارت قوات محمد على صوب الجنوب فاحتلت بيشة التى هى مفتاح الطريق لليمن من جهة الشمال الشرقى . كما واستطاعت قوات محمد على من أن تهزم قوات طامى بن شعيب المؤيدة للدرعيّة فى المنطقة العسكرية . ثم تقدمت القوات التابعة لمحمد على فاحتلت بلدة القنفذة . وهكذا نرى أن القسم الجنوبى

من الحجاز أصبح خاضعًا بالقوة لمحمد على . وبعد هذه المعارك عاد محمد على إلى مصر على إثر تمرد حدث فيها[٣٠] .

وفى ميادين الشمال كان طوسون قد وصل بزحفه إلى بلدة الرّس . وتمكن بعد ذلك من الاستيلاء على عدد من بلدان منطقة القصيم . ولكن نلاحظ أن طوسون أدرك أنه أخطأ فى توغله فى نجد حيث أنه وقواده لا يعرفون المنطقة ولا يتقنون حروب الصحراء التى تتقنها القوات السلفية وتعرف دروبها وبلدانها ومناطق الماء فيها . بالإضافة إلى التأييد السكانى لها فى المنطقة .

لذا فكر طوسون أن يعقد صلحاً مع الإمام عبد الله بن سعود . إلاّ أن شروط الصلح التى وضعها طوسون كانت ثقيلة . فأرسل الإمام عبد الله وفداً إلى مصر للتفاوض مع محمد على مباشرة بدلاً من التفاوض مع ابنه طوسون . وكان الوفد السعودى يضم القاضى عبد العزيز بن حمد بن ابراهيم وعبد الله بن محمد . ووصل الوفد القاهرة فى شوال ١٢٣١هـ/١٨١٥م .

وأثناء المفاوضات أخلى طوسون منطقة القصيم . وأثناء وجوده فى المدينة أرسل لأبيه محمد على يطلب منه العودة إلى مصر لاعتلال صحته . فاستأذن محمد على الباب العالى فى ذلك فوافق . فعاد طوسون إلى القاهرة عام ١٢٣٠هـ/١٨١٥م .

يقول ابن بشر عن طلب الصلح : أرسل الإمام عبد الله عام ١٢٣١هـ/١٨١٦م « حسن بن مزورع وعبد الله عون إلى محمد على فى مصر بهدايا ومراسلات بتقرير الصلح »[٣١] . ولم يتوصل الطرفان إلى صلح بينهما . فيقول ابن بشر : « إن حاملى هدايا ومراسلات الإمام السعودى لمّا قدموا عليه (محمد على) فى مصر وجدوه قد تغير »[٣٢] . وهكذا تبدأ مرحلة أخرى من مراحل القتال بين السلفيّين وقوات محمد على .

حملة ابراهيم باشا

بعد انسحاب طوسون من القصيم قاد الإمام عبد الله عدة حملات عسكرية تأديبية ضد القبائل والجماعات التى ساعدت وأيدت قوات طوسون .

وفى غضون الهدنة بين الطرفين وهى فترة مفاوضات الصلح أخذ كل طرف يعد العدة من أجل حرب الطرف الآخر. وكان كلا الطرفين المتفاوضين موقنين بأن المفاوضات سيكون مصيرها الفشل، وإنما هى فرصة لكسب الوقت وتجميع القوى.

ونلاحظ كذلك أن محمد على أخذ يعد حملة كبيرة ومنظمة فيها كل متطلبات الجندى من العتاد والمؤن والعلاج وغير ذلك. فأعد مجموعة من الأطباء الإيطاليين للإشراف الصحى على الحملة. ثم زود الحملة بمجموعة من الخبراء العسكريين الأجانب وعلى رأسهم المسيو فيسير الذى كان بمثابة أركان حرب لإبراهيم باشا. وهو ضابط فرنسى خدم فى جيش نابليون.

سارت الحملة بعد أن استكملت جميع معداتها ولوازمها صوب ينبع فى عام ١٢٣١هـ/١٨١٦م. وفى ينبع بدأت قوات ابراهيم باشا تقوم بمناورات لإرهاب القبائل فى المنطقة خوفاً من تمردها أو عصيانها.

اتجه ابراهيم باشا بقوات إلى المدينة المنورة وهناك خطط خططه العسكرية متلافياً ما وقعت به حملة طوسون من أخطاء.

وقد أرسل الإمام عبد الله بن سعود نجدات عسكرية للرّس بقيادة حسن بن مزروع والهزانى صاحب حريق نعام. ويصف المؤرخ النجدى عثمان بن بشر شدة حصار عبد الله للرّس وصدق دفاع الأهالى عنها فيقول(٣٣):

« فأقبل عساكر الترك مع باشتها ابراهيم ونزلوا الرسّ لخمس بقين من شعبان (من عام ١٢٣٢هـ)، فثبتوا له وحاربوه. وأرسل إليهم عبد الله مرابطة مع حسن بن مزروع والهزانى صاحب حريق نعام. فحاصرهم الترك أشد الحصار وتابعوا الحرب عليهم فى الليل والنهار. كل يوم يسوق الباشا على سورها صناديد الروم بعدما يجعل السور بالقبوس فوق الأرض مهدوم. فأنزل الله السكينة على أهل البلاد والمرابطة وقاتلوا قتال من حمى الأهل والعيال. وكلما حفر الترك حفراً للبارود حفر أهل الرّس تجاهه حتى يبطلوه. وبعض الأحيان يثور عليهم وهم لا يعلمون. وطال الحصار إلى اثنى عشر ذى الحجة. وذكر أن الترك رموه فى ليلة خمسة آلاف رمية بالمدافع والقنبر والقيس وأهلكوا ما خلف القلعة من النخيل وغيرها ».

ويذكر ابن بشر أن أهالى الرّس طلبوا من الإمام عبد الله أن يأتى لنصرتهم ومحاربة الترك ، وكان الإمام وقتذاك فى عنيزة . وأنه إذا لم يأت لمحاربة الترك فليسمح لهم بطلب الصلح من ابراهيم باشا . وجاءت نجدات أخرى لقوات ابراهيم باشا وزاد ابراهيم باشا من شدة حصاره ومضايقته للرّس حتى اضطرت البلدة إلى طلب الصلح من شروطه .

١ ـ أن يؤمن ابراهيم باشا أهالى الرسّ على دمائهم وأموالهم وسلاحهم .

٢ ـ أن تخرج الحامية السعودية من الرّس إلى عنيزة بسلاحها وأن يعطى الأمان لجميع أفرادها .

وبالرجوع إلى عبد الرحمن الرافعى فى كتابه « عصر محمد على »[٣٤] نجد أن شروط الصلح التى أوردها هذا الكتاب فيها إضافات على ما أورده عثمان بن بشر . فيذكر الرافعى : أن من بين الشروط الموقعة جاء شرط ينص على وقوف الرّس على الحياد . وشرط آخر هو : لا يجوز لجنود ابراهيم باشا وضباطه دخول الرسّ . وشرط ثالث هو : عدم إجبار أهالى البلدة على تقديم المؤن والمسيرة لجيش ابراهيم ولا يدفعون له أية ضريبة .

وبالرجوع إلى أمين سعيد فى كتابه « تاريخ المملكة العربية السعودية » جـ ١ [٣٥] . نجد أن شرطاً جديداً يضيفه المؤلف إلى الشروط التى وردت فى مؤلفى ابن بشر والرافعى ، هذا الشرط هو : فى حالة استيلاء جيش ابراهيم باشا على عنيزة بدون قتال ، فعلى الرّس أن تسلم له . وإذا لم ينجح فى ذلك فيعتبر القتال متجدّدًا بين الطرفين .

ونلاحظ من شروط الصلح المتقدمة أنها شروط لم يكن ليقبلها ابراهيم باشا لولا صلابة موقف أهالى الرّس والحامية السعودية فيها تجاه الحصار واستماتة هؤلاء فى الدفاع عن بلدهم بالرغم من عنف الوسائل التى استخدمها ابراهيم باشا ضد الرّس . أضف إلى هذا سوء الحالة التى وصل إليها جيش ابراهيم أثناء حصاره للبلدة والتى دام فى حدود ثلاثة شهور ونصف وذلك بسبب إصابة جند إبراهيم بالأمراض ولما حل بهم من ملل شديد نتيجة طول مدة الحصار . حتى أن عدد القتلى من جند ابراهيم وصل فى حدود ستمائة رجل فى حين أن عدد القتلى من بلدة الرّس لم يتجاوز السبعين رجلاً[٣٦]

حاولت القوات السعودية استدراج قوات ابراهيم باشا إلى داخل نجد كفتح طريق أمام جبهات قتالية واسعة تخوضها قوات ابراهيم باشا ضد القوات السعودية . وفى هذا الأسلوب إضعاف للعدو لأن طول المدة فى سير قوات ابراهيم عبر نجد يعرضها إلى الأمراض وسوء الحالة بخاصة وأن الأحوال الجوية متقلبة ولا تشجع على استمرار تقدم القوات إلى جانب المقاومة الشديدة التى تتعرض لها القوات المهاجمة من القوات السعودية وأهالى البلاد التى تتعرض للهجوم عليها . وهناك فرق كبير بين موقف القوات المهاجمة وبين موقف القوات المدافعة .

وقد خططت القيادة السعودية لهذا الأسلوب أو على الأقل قبلت به لأنها وجدت نفسها فى موقف لا تقدر فيه على مواجهة قوات إبراهيم باشا فى معارك حاسمة . ويعود ذلك لعدة عوامل من أهمها : أسلحة القوات المهاجمة وشدة تنظيمها وما قامت به من تدريبات عنيفة من أجل زيادة قدرتها الحربية ، إلى جانب ما كان يقدمه ابراهيم باشا لرؤساء القبائل من أموال وهدايا ورواتب شهرية فى سبيل دعم قواته وانضمامها إلى صفوفها فى حرب القوات السعودية . هذا إلى جانب الخطط العسكرية التى خططها ابراهيم باشا وقواده لمحاربة القوات السعودية .

تقدم ابراهيم باشا إلى عنيزة وحاصرها بقواته . وكانت فيها حامية سعودية بقيادة الأمير محمد بن حسن بن مشارى بن سعود . وقد استسلمت المدينة ماعدا الحامية المقيمة فى قصر الصفا داخل المدينة وظلت هذه الحامية تقاوم الحصار والهجوم التى تعرضت له حتى رماهم ابراهيم باشا « بالقبوس والقنابر رمياً هائلاً يوماً وليلة . وعمل الباشا زحافات دون رصاص أهل القصر ، وقرب منهم القبوس والقنابر ، فثلم جدار القصر ووقعت رصاصة من القنبر فى القصر وجعلها الله سبحانه على جبخانهم ... فثار الجبخان وهدم ما حوله ومات بسببه رجل أو رجلان . فلما رأى أهل القصر أن البلد أطاعت له وأن سور القصر هدم عليهم طلبوا المصالحة من الباشا فصالحهم على دمائهم وأموالهم وسلاحهم . فخرجوا من القصر ودخله الترك ورحل المرابطة إلى أوطانهم [٣٧]

زحفت القوات التابعة لابراهيم صوب شقراء بعد أن دخلت بلدة بريدة . وفى القتال الدائر بين قوات ابراهيم والقوات السلفيّة فى شقراء اضطرت البلدة إلى

الاستسلام بعد عنف العمليات العسكرية وشدة القتال الذى دام ثلاثة أيام وثلاث ليال متواصلة . وتهدم فيه سور البلدة وبيوتها وضج الناس من شدة قساوة وعنف قوات ابراهيم باشا التى كانت مجهزة بالمدافع والعتاد والمؤن . وأخيراً دخل إبراهيم المدينة على شروط هى :

١ - أن تسلم حاميتها ما لديها من مدافع فى قلعة المدينة وكافة أسلحتها .
٢ - على الأهالى بيع المؤن والميرة لجنود ابراهيم .
٣ - يُسمح للسكان بالذهاب أنى شاءوا شريطة عدم حملهم السلاح ضد قوات إبراهيم .

ونلاحظ أن سقوط شقراء كان الطريق لسقوط إقليم الوشم . وكانت البداية لسير قوات ابراهيم صوب منطقة العارض . وقد لاقت قوات إبراهيم مقاومة شديدة من بلدة ضرماء التى كانت تحت قيادة سعود بن عبد الله بن محمد بن سعود . واستسلمت المدينة بعد أن انسحبت منها الحامية السعودية متوجهة إلى الدرعيّة للدفاع عن العاصمة . ويصف لنا ابن بشر شدة معاملة جيش ابراهيم للسكان حين يقول إن الروم «يعنى جيش ابراهيم» يأتون أهل البيت أو العصابة المجتمعة فيقولون الأمان ويأخذون سلاحهم ويقتلونهم [٣٨] .

معارك الدّرعيّة

كانت الدرعيّة بلداً محصناً وقلاعها قوية . لذا فإن مقاومتها ستكون قوية وشديدة ضد جيش ابراهيم . كانت الدرعيّة تتألف من خمسة أقسام لكل منها أبواب وأسوار تتخللها الحصون والأبراج . وكان محيط المدينة حوالى اثنى عشر كم .

تقدمت قوات إبراهيم صوب الدرعيّة وكان الضابط الفرنسى فيسير يساعد إبراهيم باشا فى إعداد خطط الهجوم . وأخذت قوات إبراهيم تحفر الخنادق وتقيم المتاريس عام ١٢٣٣هـ/١٨١٨م .

أما قوات الدرعيّة فقد نظمت نفسها فى عدة جبهات . إلا أن مدافعها كانت قليلة وعتادها كان أقل من عتاد قوات إبراهيم . ركز ابراهيم بمدفعيته على المدينة ولمدة عشرة

أيام متتالية ولكن دون جدوى . وظل مدة شهرين وهو على حاله دون إحراز أى تقدم ملموس ، وزاد الأمر سوءاً بالنسبة لقوات إبراهيم ومركزها عندما اشتعلت النيران بمستودع ذخيرته . حاول السلفيّون الاستفادة من هذا الموقف ولكن دون جدوى بخاصة بعد أن وصلت إمدادات جديدة لقوات إبراهيم(٣٩) .

وظل الوضع كذلك ولمدة خمسة أشهر والدرعيّة محاصرة والحرب سجال بين قواتها وبين قوات ابراهيم وظل السلفيّون يدافعون عن عاصمتهم بشجاعة ، إلاّ أن طول الحصار أدى إلى قلة المؤن فيها ، كما أن غصاب العتيبي كان قد خرج عن الجماعة وانضم إلى ابراهيم باشا . مما أدى إلى إضعاف جبهة الدرعيّة . يقول ابن بشر : « لما خرج منها (غصاب) قوى عزم الباشا على الحرب وقرب القوس (المدافع) من البلد وأصاب أهل الدرعيّة كآبة ووهن من خروجه(٤٠) » ويقول كذلك : « إنه لما خرج من أهل الدرعيّة وغيرهم منها إلى الباشا وأخبروه بعوراتهم وأخبروه بالموضع الذى ليس فى أهله شدة فى الحرب وبالموضع الذى يتفرقون عنه فى الليل وبالموضع الذى ليس به إلا قليل وبالموضع الذى يدخل منه على أهل الدرعيّة وهم لا يعلمون(٤١) .

وهكذا نلاحظ أن الجبهة الداخلية للسلفيّين قد ضعفت وزاد هذا الضعف إزدياد الأزمة الاقتصادية نتيجة لاستمرار القتال والحصار للمدينة . وبعدها شن إبراهيم هجوماً مركزاً على عدة مواضع من المدينة كانت النتيجة أن استسلم الإمام عبد الله بن سعود . يقول ابن بشر : « تفرق عن عبد الله أكثر من كان عنده ، وبذل لهم الدراهم فأخذوها وهربوا . فلما رأى عبد الله ذلك بذل نفسه للترك وفدى بها عن النساء والولدان والأموال . فأرسل إلى الباشا وطلب المصالحة فأمره أن يخرج إليه فخرج إليه »(٤٢) .

استقبل إبراهيم الإمام عبد الله بالحفاوة وتم الإتفاق بينهما على الشروط التالية(٤٣) :

* تسليم الدرعيّة .
* يتعهد إبراهيم بأن يبقىَ على المدينة وأن لا يوقع بأحد من سكانها .
* يسافر الإمام عبد الله إلى مصر ومنها إلى الآستانة عملاً برغبة السلطان التركى .

ولم يكتف محمد على بهذا بل رفض الشرط الثانى وأمر ابنه ابراهيم بتهديم الدرعيّة وحصونها وأسوارها وتخريب منازلها ، وقد نفذ ابراهيم باشا هذه الأوامر .

أما عن الإمام عبد الله فوصل مصر واستقبله محمد على بشبرا بالترحيب . وسأل محمد على الإمام ما هذه المطاولة . فرد الإمام « الحرب سجال » فقال الباشا « وكيف رأيت إبراهيم » . فرد الإمام « ما قصر وبذل همته ونحن كذلك حتى كان ما قدره المولى » فقال محمد على « أنا إن شاء الله أترجى فيك عند مولانا السلطان » . فقال الإمام « المقدر يكون » فألبسه محمد على خلعه .

وترتب على سقوط الدرعيّة عدة نتائج :

* انتهى عهد الدولة السعودية الأولى ولفترة مؤقتة وظلت مبادئ الدعوة السلفيّة باقية فى نفوس أتباعها .

* عمت الفوضى السياسية فى البلاد وازداد معها ضعف اقتصادياتها .

* ازداد نفوذ محمد على وازداد ضغطه على السلطان العثمانى .

* أخذت بريطانيا تركز دعائم نفوذها الاستعمارى فى سواحل الخليج العربى .

* ظهرت مقاومة سعودية جديدة ضد الحكم التركى الممثل بسلطة محمد على باشا . وكانت هذه المقاومة وما رافقها من تأييد وطنى سبباً فى ظهور الدولة السعودية الثانية . « ومع أن الدولة السعودية الأولى كانت قد انهارت من حيث الوجهة والمفهوم السياسيين . إلاّ أنها تركت فى البلاد مقومات قيام الدولة السعودية الثانية . إذ ظلت أفكار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ماثلة فى أذهان الناس . وظل المجتمع النجدى يكن ولاءًا للأسرة السعودية التى تبنت الدفاع ضد الحكم التركى ومحمد على . وعلى رأس هؤلاء المؤيدين جماعة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ذوى الرأى النافذ لما لهم من منزلة دينية محترمة بين أفراد المجتمع النجدى . وزاد من تقرب الناس لآل سعود ما وصلت إليه البلاد من أوضاع سيئة . ولما لمسوه من سوء المعاملة على يد الجند عندما دخلوا بلدة الدرعيّة ودكوا أبنيتها . وأسروا حوالى أربعمائة فرد من آل سعود وآل الشيخ [٤٤] » .

* تأصل فى البلاد النجدية مبدأ كره الحكم الأجنبى وما يلحق بذلك من أمور تلتصق به . وكان ذلك وليد النتائج التى ترتبت على النزاع السلفى العثمانى عن طريق

الولايات العثمانية العربية بخاصة تلك الحملات العسكرية المتلاحقة ضد الدولة السعودية من قبل محمد على باشا .

* ظهور شعور وطنى محلى فى البلاد النجدية ، وقد تأصل هذا الشعور وازدادت حدته بعد الويلات التى لاقاها سكان المنطقة من قبل القوات العثمانية التى زحفت لحرب السلفيّين فى فترات تاريخية متعاقبة .

هَـوَامش الفَصْـل الثّالث

(١) حسين خزعل . ص ٢٩٥ .

(٢) سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب . كتاب «التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق و «تذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» . طبع القاهرة : ١٩٠١م/١٣١٩هـ . ص ١٥ ـ ١٦ .

(٣) عثمان بن بشر . جـ١ . ص ١٠٢ .
انظر كذلك : عباس العزاوي . تاريخ العراق بين احتلالين . جـ٦ . ص ١٢٤ . طبع بغداد : ١٩٥٩م .

(٤) د. عبد الحميد البطريق . إبراهيم باشا في بلاد العرب . القسم الأول من كتاب ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا . ص ٤ . القاهرة : ١٩٤٨م .

(٥) Brydges (sir Harford Jones. An account of his Majesty's Mission to the Court of Persia in the Years: 1807-1810 to which is appended. Abrief History of the Wahhaby. VOL. 2. p. 19 (London 1834).

(٦) عثمان بن سند . مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود . ص ٢٦ .
ـ رسول الكركولي . دوحة الوزراء . ص ٢٠٩ .

(٧) عثمان بن سند . المرجع السابق . ص ٢٦ .

(٨) ارجع في ذلك إلى : لمع الشهاب . ص ١٣٠ . ١٣١ و Brydges. Vol. 2. pp. 27-28.

(٩) عثمان بن سند . ص ٢٧ .

(١٠) عثمان بن سند . ص ٢٨ وأنظر أيضًا :
Hogarth. Arabia. p. 102 (Oxford 1922).

(١١) انظر : Brydges. Vol. 2. pp. 27. 28.

(١٢) عثمان بن بشر . جـ١ . ص ١٤٠ .

(١٣) ابن غنام . جـ٢ . ص ٨٠ . ٨١ .

(١٤) ابن غنام . جـ٢ . ص ١١٩ . ١٢٠ .

(١٥) ابن غنام . جـ٢ . ص ١٤٤ . ١٤٥ .

(١٦) ابن بشر . جـ١ . ص ٩٧ .

(١٧) حسين خزعل . ص ٣٦٦ ـ ٣٦٧ .

(١٨) Brydges. A Brief History. p. 19.
ـ حسين خزعل . ص ٣٧٥ .

(١٩) حسين خزعل . ص ٣٧٧ ـ ٣٧٨ .
ولطلب المزيد من التفصيل عن علاقة الدولة السعودية بأشراف الحجاز ارجع إلى :

د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم . الدولة السعودية الأولى . موضوع آل سعود والحجاز . معهد الدراسات والبحوث بالقاهرة .

(٢٠) ابن بشر . جـ ١ . ص ١٠١ . ١٠٢ .

(٢١) ابن بشر . جـ ١ . ص ١١١ .

(٢٢) ابن بشر . جـ ١ . ص ١٢٨ .

(٢٣) Philby. Saud; Arabia. p. 108.

(٢٤) +(٢٥) د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم . المرجع السابق . ص ٢٨٤ .

(٢٦) عبد الرحمن الرافعي ، عصر محمد على . ص ١٢٧ . القاهرة : ١٩٥١م .

(٢٧) ابن بشر . جـ ١ . ص ١٥٤ . ١٥٥ . ١٥٦ .

(٢٨) د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم . المرجع السابق . ص ٢٩٧ .

– ارجع إلى ماكتبه عبد الرحمن الجبرتى ، عجائب الآثار فى التراجم والأخبار . جـ ٤ . ص ١٧٢ .

(٢٩) عبد الرحمن الجبرتى . المصدر السابق . جـ ٤ . ص ٢١٣ . ٢١٧ .

(٣٠) قيل أن لطيف باشا وهو من رؤساء المماليك فى مصر دبر مؤامرة ضد محمد على للإطاحة بحكمه . ولكن الجبرتى فى عجائب الآثار والرافعى فى كتاب عصر محمد على . ينفيان ذلك ويرويان أن محمد لاظ كتخدا محمد على هو الذى أوغر صدر محمد على على لطيف باشا للتخلص منه كراهية لجنس المماليك .

انظر الجبرتى : جـ ٤ . ص ١٨١ – ١٨٣ .

انظر الرافعى : عصر محمد على . ص ١١٤ .

(٣١) +(٣٢) ابن بشر . جـ ١ . ص ١٨١ – ١٨٢ و ص ١٨٤ .

(٣٣) ابن بشر . جـ ١ . طبعة مكتبة الرياض الحديثة . ص ١٨٩ .

(٣٤) عبد الرحمن الرافعى ، عصر محمد على . ط ٣ . ص ١٤٧ . القاهرة : ١٣٧٠هـ/١٩٥١م .

(٣٥) أمين سعيد . تاريخ المملكة العربية السعودية . الجزء الأول . ص ٨٠ . بيروت : ١٩٦٤م .

(٣٦) ابن بشر . جـ ١ . ص ١٩٠ .

(٣٧) ابن بشر . جـ ١ . ص ١٩٠ .

(٣٨) ابن بشر . جـ ١ . ص ١٩٣ .

(٣٩) ابن بشر . جـ ١ . ص ٢٠٤ . ٢٠٥ .

(٤٠) ابن بشر ، جـ ١ ، ص ٢٠٦ .

(٤١) ابن بشر ، جـ ١ ، ص ٢٠٦ .

(٤٢) ابن بشر ، جـ ١ ، ص ٢٠٩ .

(٤٣) ابن بشر ، جـ ١ ، ص ٢١٠ وكذلك : أمين سعيد . تاريخ المملكة العربية السعودية ، جـ ١ ، ص ١٠٠ .

(٤٤) د. عبد الفتاح حسن أبو علية . الدولة السعودية الثانية ، ط ٣ ، ص ٣٠ ، مطبعة المدنية بالرياض والناشر مؤسسة الأنوار للنشر والتوزيع .

ـ لمعرفة ما حل بالدرعية انظر : عبد الرحمن الجبرتي ، عجائب الآثار ، مجلد ٤ ، ص ٣١٨ . وكذلك كل من : ابن بشر . جـ ١ ، في حوادث سنة ١٢٣٣هـ .

الفَصْل الرَّابع

امتـدَاد نفُـوذ الدّولة السعوديّة الأولىٰ فِي الخَـلِيج

- العَوامل التى دفعَت الـدّولة السعوديّة الأُولىٰ إلىٰ الإمتـدَاد فِي منَاطق الخَـليج العَربِي
- الـدّولة السعـوديّة الأُولىٰ وقطـر
- الـدّولة والبحـريـن
- الـدّولة والـكويـت
- الـدّولة وعُمـان
- الـدّولة وسـاحل عُمـان
- وصُـول الدّعـوة والـدّولة إلىٰ جعـلان
- أُمـَراء الـدّولة السعوديّة الأُولىٰ فِي الـبريمى
- القصُور السعوديّة فِي البريمى والمَنَاطق العُمَانية

العَوامل التى دَفَعت الدّولة
إلىٰ الامتداد فى منَاطِق الخَلِيج

كانت هناك ثمة عوامل مهمة دفعت الدولة السعودية الأولى إلى الامتداد باتجاه مناطق الخليج العربى . ويأتى الدافع الدينى فى المقام الأول منها ، إذ كان من المهام الأولى للدولة نشر مبادئ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى داخل الجزيرة العربية وخارجها ، وما هذه الدعوة إلا جهد إصلاحى مهمته الأساسية تطهير الدين الإسلامى ممّا علق به من شوائب : كالبدع والخرافات والضلالات المتنوعة على مدى حقبة طويلة من الزمن .

إلى جانب هذا أخذت تظهر أحداث ذات طابع سياسى ساعدت على شد انتباه الدولة السعودية الأولى إلى منطقة الخليج العربى . ويأتى حادث توتر العلاقات بين بنى خالد فى المنطقة الشرقية وبين الدولة ثم توتر العلاقات بين العراق العثمانى وبين الدولة السعودية الأولى فى مقدمة عوامل الجذب ، وبالتالى فهى من بين العوامل التى جعلت الدولة السعودية الأولى تركز اهتمامها على المنطقة المذكورة .

وهناك عامل اقتصادى لا يقل بحال من الأحوال عن العامل السياسى . فالمنطقة الشرقية منفذ بحرى ممتاز للدولة السعودية ، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن حدود الدولة السعودية الأولى مازالت منحصرة فى نطاق نجد . وأن كل القوى السياسية المحيطة بها قوى سياسية معادية لها . فالمنطقة الشرقية منطقة غنية بالزراعة بخاصة زراعة النخيل . والتمور تشكل القوت الأساسى للسكان فى الجزيرة العربية وقتذاك . وتأسيسًا على هذا فتصبح المنطقة الشرقية مورداً اقتصادياً كبيراً للدولة إذا أضفنا إلى هذا المورد الاقتصادى الناجم عن التجارة والطرق التجارية وصيد الأسماك للحصول على اللؤلؤ الخليجى . إضافة إلى هذا كله ما تأخذه الدولة من زكاة من سكان المنطقة .

وهناك عامل آخر وهو أن الدولة السعودية الأولى كانت ترى الوصول إلى المنطقة الشرقية والخليج ضرورة ملحة لأمنها ، عندما أصبحت المنطقة مكاناً تتجمع فيه القوى الفارة من الدولة ، وأخذت هذه القوى بتحريض من بني خالد تعمل على مناوئة الدولة . وكانت الدولة تفكر جدياً فى تأديب هذه الجماعة ومطاردتها .[1] .

لقد انهت الدولة السعودية الأولى حكم بنى خالد فى الأحساء فى عهد الإمام السعودى عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن محمد عام ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م ، بعد أن عبأت الدولة السعودية جيشاً ضخماً من جيش الجهاد بقيادة الأمير سعود بن عبد العزيز (سعود الكبير فيما بعد) . وقد طبق الأمير سعود مبادئ الدعوة فى المنطقة ، فأقام الحد والقصاص على من استحقهما . وأما القطيف فسار إليها ابن عفيصان وتمكن من الاستيلاء عليها وعلى قراها ، وبعد ذلك عين الإمام عبد العزيز بن محمد ابراهيم بن عفيصان أميراً على الأحساء والقطيف : « قم ياابراهيم سر على بركات الله تعالى إلى الأحساء وكن أميرها ، وأمير القطيف من توابعك ، وكل ما تراه صلاحاً للدين ومقوياً لأحوال المسلمين واستمد من أخوانك المسلمين ما شئت من العسكر فأنت عيناً فى ذلك القطر »[2]

وبعد أن دخلت القوات السعودية الأحساء والقطيف أصبحت الدولة السعودية الأولى دولة محلية تشرف على الخليج . وبدأت هذه الدولة تتطلع تدريجياً إلى نشر مبادئ دعوتها فى المناطق الخليجية وتثبيت جذور نفوذها فى الخليج العربى الذى يموج بحركة تجارية واسعة . فكانت الأحساء هى المنطلق لامتداد نفوذ الدولة السعودية الأولى فى مناطق عديدة من مناطق الخليج العربى . وأصبحت الدولة السعودية بعد دخولها الأحساء قوة وطنية محلية تتصارع مع القوى السياسية الأخرى فى المنطقة . وكانت أول أنظار الدولة قد اتجهت نحو قطر بايعاز من إبراهيم بن عفيصان .

الدّولة السّعوديّة الأُولىٰ وقَطَر

كانت قطر مسكونة من قبل : آل أبى حسن وهم يسكنون فى اليوسفية وقراها المحيطة بها . والمعاضيد ويسكنون فى الرويضة والطبيخ . وآل مسلم ويسكنون فريحة

والقويرط والقرى المحيطة بها . ثم سكنها آل خليفة فى الزبارة[٣] بعد أن انفصلوا عن التحالف الذى كان قائماً بينهم وبين آل صباح والجلاهمة عام ١١٢٨هـ/١٧١٦م .

وكان إبراهيم بن عفيصان هو القائد السعودى الأول الذى غزا قطر فى آواخر عام ١٢٠٧هـ ومطلع العام ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م . واستطاعت القوات السعودية من الاستيلاء على معظم بلدان قطر : كاليوسفية وفريحة والرويضة والحويلة[٤] . وبعد ذلك حاصر إبراهيم بن عفيصان العتوب (آل خليفة وجماعتهم) فى الزبارة بعد أن جاءته الموافقة من الإمام عبد العزيز بن محمد . وشدد ابراهيم بن عفيصان فى حصار العتوب حتى أجبرهم على الرحيل من الزبارة متجهين إلى البحرين بواسطة البحر ، مقتنعين بأن رحيلهم هذا ما هو إلاّ رحيل مؤقت يدوم لفترة قصيرة وهى فترة بقاء القوات السعودية فى قطر ظنًا منهم أن الحكم السعودى فى قطر لم يتعد عن كونه حملة عابرة[٥] بعدها تنسحب القوات السعودية ، وعندها يعود العتوب إليها ثانية . وهكذا دخلت الدولة السعودية قطر . وأخذت تنشر مبادئ دعوة الشيخ هناك . كما أن رقعة الدولة قد اتسعت ، وصار لها ساحلاً كبيراً مطلاً على الخليج العربى . ولم يكلف الدولة السعودية دخول قطر الشئ الكثير ، ويعلّل ذلك بالتوافق فى المذهب ـ إلى حد ما ، حيث أن المذهب الحنبلى هو المذهب السائد فى قطر . ونلاحظ أن تصور العتوب بأن دخول السلفيّين لقطر ما هو إلاّ مجرد حملة عسكرية هو تصور خاطئ لأن الدولة السعودية كانت عندما تدخل بلداً تطبق فيه مبادئ دعوتها وتضمه إلى بوتقة الدولة وتأخذ منه الزكاة السنوية .

الدّولة والبحرين

إن البحرين جزيرة ذات أهمية فريدة بالنسبة للاستراتيجية الدولية ، إضافة إلى أهميتها هذه ، فهى كذلك تمتاز بأرضها الزراعية من جهة وشهرتها كأحد مراكز الغوص فى الخليج من جهة أخرى ، حتى أن لؤلؤها اكتسب شهرة عالمية . وكانت البحرين تحت سيادة آل خليفة عندما كانوا فى الزبارة فى قطر . وكان آل خليفة يديرون شؤون الجزيرة من مركز ثقلهم فى الزبارة فى قطر قبل رحيلهم منها إلى البحرين على إثر دخولها

من قبل ابراهيم بن عفيصان . وقد سكن سليمان آل خليفة وأسرته فى قرية جوا فى البحرين عام ١٢١٢هـ/١٧٩٧م . ولم تدم إقامتهم فى جوا لأن البحرين خضعت لحكم السيد سلطان بن أحمد حاكم مسقط عام ١٢١٥هـ/١٨٠٠م وبعدها عاد آل خليفة إلى الزبارة بعد أن أعطاهم آل سعود الأمان .(٦)

وقد نجح آل خليفة فى كسب عون الإمام السعودى ، سعود الكبير لهم فى استرجاع البحرين من حاكم مسقط ، بعد أن أرسل لهم جيشاً بقيادة ابراهيم بن عفيصان .(٧) وقد نجحت القوات السعودية فى الاستيلاء على البحرين وطرد قوات حاكم مسقط منها . إلاّ أن ابراهيم بن عفيصان لم يسلم الحكم فى البحرين لآل خليفة بل أعلن ضمها إلى الدولة السعودية الأولى . وقد حاول آل خليفة إجلاء القوات السعودية عن البحرين إلا أن القوات السعودية ردت القوات المهاجمة وأرسل رؤساء آل خليفة إلى الدرعيّة . وعين الأمير فهد بن سليمان بن عفيصان قائداً للحامية السعودية فى البحرين ، وعين الأمير إبراهيم بن عفيصان أميراً عليها .

ولم يدم هذا الوضع لأن آل خليفة استعانوا بحاكم مسقط ودولة الفرس وأقاربهم من عتوب وهاجموا الحامية السعودية فى البحرين وطردوا الأمير إبراهيم بن عفيصان وحاميته ، وأسروا فهد بن سليمان بن عفيصان ومعه ستة عشر رجلاً من السعوديين واتخذوهم كرهينة عندهم حتى تطلق الدرعيّة سراح آل خليفة فيها .(٨)

وقد حاول ابراهيم بن عفيصان بمساعدة رحمة بن جابر الجلاهمة(٩) استرداد البحرين إلاّ أنه لم يفلح فى ذلك . وقد أسدل الستار على هذا الأمر لأن الدولة السعودية الأولى غدت مشغولة فى حروبها ضد قوات محمد على باشا والدولة العثمانية فى منطقة الحجاز .

وتأسيساً على ما ذكرناه سابقاً فإن الحكم السعودى فى البحرين لم يكن حكماً مستقراً . كما أن قبضة الدولة السعودية على البحرين لم تكن كقبضتها على قطر . وفى اعتقادى أن هذا له من الأسباب ما يبرره ، فالبحرين بالرغم من قربها من الدمام إلاّ أنها تحتمى بخط دفاعى طبيعى هو الماء . وهذا أمر لا يستهان به إذا أخذنا بعين الاعتبار صعوبة المواصلات البحرية وقتذاك بخاصة وأن الدولة السعودية لم يكن لديها أى

أسطول بحرى عسكرى . وانما كانت تستخدم مراكب الغوص إذا اقتضت الضرورة إليها . أما عن قطر فهى امتداد طبيعى للأحساء ولا توجد بينهما الحواجز الطبيعية كما هو الحال بين البحرين والمنطقة الشرقية من الدولة السعودية . وإذا أضفنا إلى هذا كله مبدأ الخلاف المذهبى القائم بين اتباع الدولة السعودية وبعض الفئات السكانية فى البحرين . بعكس قطر إذ أن معظم السكان فيها هم من ذوى المذهب الحنبلى السائد فى الدولة السعودية . هذا إلى جانب أهمية موقع البحرين ومدى التنافس الدولى والمحلى عليه .

الدّولة والكويت

كلمة الكويت تصغير لكلمة كوت . وهى كلمة برتغالية تعنى القلعة أو المكان الشبيه بالقلعة المبنى قرب الماء . ثم استعمل هذا اللفظ للمكان أو القرية أو البلدة التى تبنى بالقرب من الماء . وقد استخدمت هذه اللفظة فى مناطق جنوب العراق والبلدان المجاورة لها .[١٠]

كانت الكويت تتبع حكم بنى خالد عندما قدم العتوب إليها عام ١١٢٨هـ/١٧١٦م . وقد ظل العتوب ومنهم آل الصباح تابعين لبنى خالد حتى ضعفت سيادة بنى خالد على الأحساء والمنطقة التابعة لها . عندها لجأ آل صباح إلى والى بغداد العثمانى وطلبوا منه إقرارهم على حكم الكويت مقابل إعلانهم التبعية السياسية للدولة العثمانية تحت إمرة والى بغداد .. وهكذا نجح جد آل صباح فى إقناع والى بغداد فى قبول سيادتهم على الكويت تحت تبعية الدولة العثمانية . ومن ذلك الزمن أعطى الشيخ صباح لقب قائممقام الكويت عام ١١٣٠هـ/١٧١٨م . ومنذ ذلك التاريخ برزت أسرة آل صباح على مسرح الأحداث السياسية فى منطقة الخليج العربى .[١١]

والجدير بالذكر هنا أن آل صباح كانوا متحالفين مع أقاربهم آل خليفة والجلاهمة وكان لآل صباح شؤون الحكم . ولآل خليفة شؤون التجارة ولآل الجلاهمة شؤون الغوص والعمل فى البحر . وكان من شروط هذا التحالف الدموى أن وزعت الأرباح والواردات على جميع أعضاء الحلف بالتساوى .[١٢]

وللكويت أهمية تجارية ممتازة فهى مفتاح الخليج من الشمال . وإليها تحولت جميع

السفن التى تحمل البضائع القادمة من الهند إلى بغداد أو إلى بلاد الشام أو إلى الأناضول .

وغدت الكويت مركزاً يقيم فيه ممثل شركة الهند الشرقية البريطانية بعد أن نقل مركزه من البصرة[١٣] وهى كذلك من أكبر مراكز تجمع البضائع التى ترد إلى نجد ومناطق غرب الجزيرة .

ولم تبق الكويت بمنأى عن أحداث الدولة السعودية .. ففى عام ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م ، (السنة التى دخل فيها السعوديون الأحساء والقطيف) قاد إبراهيم ابن عفيصان حملة عسكرية لإدخالها فى بوتقة الدولة السعودية الأولى ، وقد غنم إبراهيم بن عفيصان الغنائم الكثيرة فى هذه الحملة ، لكنه لم يكن فى مقدوره أن يخضع الكويت للسيادة السعودية .[١٤] وتحت ضغط الهجوم السعودى على الكويت من جهة الجنوب وضغط هجوم قبائل المنتفق عليها من الشمال اضطر آل صباح أن يحيطوا مدينة الكويت بسور قوى ومرتفع حتى تستطيع المدينة صد الحملات العسكرية الموجهة ضدها .[١٥]

وقد ردت الكويت على هذه الحملة بإرسال حملة عسكرية انتقامية ضد بدو آل سعود الساكنين على الحدود السعودية الكويتية ، إلا أن هذه الحملة لم تعط النتائج التى ارادتها الكويت ، وعادت دون أن تفعل شيئاً .[١٦]

قاد سعود بن عبد العزيز حملة عسكرية ضد الكويت عام **١٢١٩** هجرية **١٨٠٤**م . وعسكر بقواته فى قرية الجهرة ، ولكنه انسحب قبل أن يشتبك مع أهالى الكويت . وتعتبر هذه الحملة العسكرية السعودية هى الحملة العسكرية الوحيدة التى أرسلتها الدولة السعودية الأولى ضد الكويت لإدخالها فى بوتقة الدولة السعودية ومجتمعها السعودى .

ونلاحظ أن أنجليز كانوا يراقبون الموقف عن كثب . فاستغلوا هذه الأحداث فعرضوا حمايتهم على حاكم الكويت الأمير عبد الله الأول آل الصباح ،إلا أن هذا الأمير رفض العرض الانجليزى وآثر الاستقلال[١٧] مع الإحتفاظ بالتبعية العثمانية عن طريق ولايتى بغداد والبصرة .

وبعد هذا نلاحظ أن الدولة السعودية الأولى كانت قد انشغلت فى الدفاع عن نفسها ضد حملات محمد على باشا والعثمانيين . وكان انشغالها فى هذا المجال انشغالاً متواصلاً أبعدها عن الأهتمام بالتوسع فى مناطق الخليج أو تثبيت سيادتها على مناطق تأتى فى عمق المنطقة . وظل الوضع كذلك حتى سقوط الدولة السعودية الأولى على يد قوات ابراهيم باشا عام ١٢٣٣هـ/١٨١٨م .

ونلاحظ كذلك أن أحداث الدولة السعودية مع الكويت كانت قد لفتت انتباه الدولة العثمانية ، عن طريق ولاية البصرة إلى تركيز نفوذها فى الكويت ، والى متابعة الأحداث العسكرية والسياسية فى المنطقة لأن هذا يؤثر على وجودها فى الكويت إذا أن الكويت تشكل حماية لها من الجنوب .

كما أن موقف التركيز العثمانى هذا أدى إلى تنافس عثمانى بريطانى فى المنطقة بخاصة على الكويت لأنها تشكل نقطة مهمة من نقاط الأطماع التوسعية البريطانية فى الخليج لأنها فى نظر بريطانيا تشكل أهمية عسكرية وتجارية فى الحفاظ على مبدأ المواصلات الأمبراطورية ، أى مبدأ الحفاظ على أمن الأستعمار البريطانى فى الهند والشرق .

كما أن هذه الأحداث جعلت من بريطانيا تحاول بسط سيادتها العسكرية على مناطق خليجية أخرى كنقاط احتياط للحفاظ على استعمارها واستراتيجيتها فى المنطقة . وقد تطلب هذا من بريطانيا زيادة قوتها العسكرية بخاصة البحرية منها فى منطقة الخليج كى تحمى نفوذها من الصراع المحلى الدائر فى المنطقة .

الدّولة وعُمَــان

عُمان منطقة واسعة تقع بين ساحل عُمان(١٨) (ساحل الامارات) وبين ساحل الجزيرة العربية الجنوبى الشرقى فى تجاه جزيرة مصيرة . وتنقسم عمان إلى : منطقة الظاهرة ، وهى تمتد من رأس الخيمة والصير إلى جزيرة مصيرة . وأهم مدنها نزوى وبهلى وبلدان جعلان ومنطقة الحجر ، وهى منطقة جبلية تمتد من الجنوب باتجاه الشمال . وفيها كثير من المدن والقرى مثل : رستاق وسمائل والجبل الأخضر وازكى . وتجدر الملاحظة أن البلدان الواقعة فى هذه المنطقة بين الحجر والبحر تسمى «بالباطنة» ،

ومن مدنها الرئيسية تأتى : صحار وشناص ومضلعة ومسقط عاصمة أئمة عمان . ومنطقة الصبر وتشمل أرض بنى ياس من (نخيران) وتنتهى برؤوس الجبال من ناحية الجنوب فى الشرق من عمان .

وتقطن عمان مجموعة قبائل هى : بنو كعب وبنوياس وبنو قتب والمناصير والعوامر والنعيم والعجمان والدروع وآل وهيب وبنو مهير والمطاريش [١٩] وانقسمت هذه القبائل إلى مجموعتين [٢٠] هما :

- **القبائل الهناوية** : وهى ذات المذهب الأباضى
- **القبائل الغفارية** : وهى ذات المذهب السنى .

وبختل موقع عمان أهمية كبيرة فى الخليج . ولها ساحل كبير مشرف على الخليج وهى كذلك تشرف على ممر مائى ممتاز هو مضيق هرمز «Strait of Hormuz» الذى يشكل حلقة الوصل بين خليج عمان الموصل إلى بحر العرب وبين الخليج العربى الموصل إلى الشمال . إلى العراق وإيران . وقد جلبت أهمية عمان على الأهالى الكثير من غضب الاستعمار ونقمته متمثلاً ذلك فى الاستعمار البرتغالى والاستعمار البريطانى والأستعمار الفرنسى إلى جانب توسعات إيران فى المنطقة .

ولما وصل نفوذ الدولة السعودية الأولى منطقة الأحساء . بعدها بدأت الدولة السعودية تتطلع إلى نشر مبادئ دعوتها فى عمان . ومن ثم لابد من امتداد رقعتها فى هذه المنطقة . فأمر الإمام عبد العزيز بن محمد قائده مطلق المطيرى بغزو عمان الصبر حيث تسكن قبائل بنى ياس . إلا أن مطلق المطيرى لم يوفق فى الاستيلاء على المنطقة فى هذه الحملة [٢١] عندها رأى الإمام السعودى أن يوكل الأمر إلى قائده ابراهيم بن عفيصان الذى لعب دوراً بارزاً فى دخول المنطقة الشرقية . فقاد ابراهيم بن عفيصان حملة عسكرية إلى منطقة الصبر ضد بنى ياس حتى أجبرهم على طلب الأمان من إمام الدرعية . ثم لحقت بهم قبائل نعيم الذين كانوا يسكنون واحات البريمى [٢٢] .

لقد أرسلت الدرعية إليهم عالماً ليعلمهم مبادئ دعوة الشيخ [٢٣] ثم بدأ التدريس الدينى المبنى على مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ككتاب التوحيد وغيره . ومنذ ذلك التاريخ دفعت قبيلة بنى ياس الزكاة إلى الدولة السعودية الأولى . وقد لحقتها فى

ذلك قبيلة نعيم ومنذ ذلك التاريخ وهاتين القبيلتين تدينان بولائهما لآل سعود . والجدير بالذكر أن هاتين القبيلتين هما من القبائل الغفارية السنية التى ربما رأت فى انضمامها لآل سعود سيقوى مركزها ضد الحلف القبلى الهناوى الأباضى .

لقد دخل إبراهيم بن عفيصان البريمى عام ١٢١٠هـ/١٧٩٥م . وأقام هذا القائد وجنده فى البريمى وبنى فيها قصراً كبيراً ليكون مقر القيادة السعودية فى المنطقة هو قصر الصبارة الذى يقع فى الطريق الموصل بين البريمى وحماساً وعين ابراهيم عفيصان أميراً عليها . يقول عبد الله بن صالح المطوع من أهالى الشارقة فى مخطوطه « عقود الجمان فى أيام آل سعود فى عمان » ورقة (٤٩) مايلى : « فقدمنا فيما سبق استدعاء أهل عمان الأمير سعود وفيما يلى نقدم التفصيل عن ذلك * فى سنة ١٢١٠هـ وجه الأمير سعود ابراهيم ابن عفيصان إلى عمان . وأمره أن ينزل البريمى لأنها أقرب البلاد إلى الأحساء ولأن أهلها ينتمون غالباً إلى القبائل العدنانية ، ويضمهم الحزب الغافرى . ولما وصلها وجد أهلاً ونزل سهلاً ولم يرفع فى وجهه سوط . ولم يتخلف فى استقباله أحد . كما أنه هو لم يتدخل بين الأمراء وجماعتهم . ورضى منهم بالسمع والطاعة . ودفع الزكاة لال سعود ، وقبول الدعوة السلفيّة ، وإزالة البدع والخرافات والرجوع إلى الكتاب والسنة » .

ويقول أيضاً : « وقد انتشرت الدعوةالسلفية بين قبائل البدو والحضر . وأخذ الناس يدعون بعضهم بعضاً إلى ذلك « وانصب علماء السلف يعلمون الناس ، فشق ذلك على علماء الأباضية وبعض أهل البدع والخرافات من أهل السنة إلا أنهم لم يفعلوا شيئاً ولم يقاوموا » .

وقد جاء القائد السعودى سالم بن بلال الحرق إلى منطقة البريمى عام ١٢١٤هـ/١٨٠٠م كأمير عليها خلفاً لابن عفيصان . وقد بدأ هذا القائد يوسع نفوذ الدولة السعودية فى عمان بين القبائل والبلدان القريبة من البريمى باتجاه الساحل . وعن طريق حملات هذا القائد سيطرت القوات السعودية على كثير من البلدان المجاورة للبريمى . ومن ثم فان جميع قبائل نعيم والظواهر وبنى ياس أطاعت الدولة السعودية الأولى ودفعت الزكاة لها دلالة على هذه الطاعة .[٢٤]

وقد حذا حذو هذه القبائل أهالى قبيلتى بنى راسب وبنى على . وهكذا امتد

نفوذ الدولة السعودية الأولى فى عمان والساحل . وكان هذا الامتداد قد أثار القبائل الهناوية ضد القبائل الغفارية المؤيدة والمدعومة من قبل آل سعود[٢٥] .

وتحت ضغط العمليات العسكرية السعودية المتواصلة فى عُمان ، بخاصة تلك الحملات التى وصلت إلى سهل الباطنة اضطر السيد سلطان بن أحمد حاكم عُمان أن يطلب الصلح من الإمام عبد العزيز بن محمد آل سعود ، مقابل أن يدفع الزكاة للدرعيّة . وقدرت قيمة الزكاة التى سيدفعها السيد سلطان بخمسة آلاف ريال سنوياً .[٢٦]

وتجدر الإشارة هنا إلى أن السيد بدر بن سيف البوسعيدى الذى خلف السيد سلطان فى حكم البلاد كان قد أيد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب قبل أن يتولى الحكم وبعده . إلا أن هذا الموقف لم يعجب أسرة آل بوسعيد الذين ثاروا عليه وقتلوه عام ١٢٢١هـ/١٨٠٦م . وتولى أمر عمان من بعده السلطان سعيد بن سلطان .

يقول صاحب لمع الشهاب عن تأييد بدر للدولة السعودية ودعوتها ما يلى :
« .... أرسل بدر رسلاً إلى سعود عن طريق القطيف وأرسل معهم تحفاً وهدايا كثيرة وكتب له كتاباً جاء فيه : إنى أعاهدك على هذا الدين ومطيعاً له . هذا كل ما تأمرنى به من الأوامر والجهاد افعل لا محالة »[٢٧] .

أما عن خليفته سعيد بن سلطان فقد تحارب مع القوات السعودية وكان يساعده فى موقفه هذا ابن عمه قيس بن أحمد ، وكان هم سعيد أن يخرج القوات السعودية من عمان وأن لا يدفع الزكاة للدولة السعودية . لكن قوات الأمير مطلق المطيرى ردت هذا الهجوم وانهزمت قوات حاكم عمان فى موقعة خورفكان ، وقتل قيس بن أحمد فى هذه الموقعة ، وبعد فشل حاكم مسقط فى هذه الموقعة صارت الطريق مفتوحة أمام القوات السعودية لدخول جميع عمان والسيطرة عليه . وقد استفاد مطلق المطيرى من هزيمة حاكم مسقط واتباعة فتقدم ودخل مطرح وواصل زحفة حتى وصل مدينة مسقط على الساحل ، وأعلنت معظم مدن عمان وقراها وبلدانها الخضوع للسيادة السعودية . وقد خضعت كل من بهلى ونزوى للحكم السعودى . ويذكر صاحب لمع الشهاب أن القوات السعودية أخضعت بعض بلاد الحجر الواقعة بين الباطنة وبين الظاهرة .

وقد عاد حاكم عمان السلطان سعيد إلى دفع الزكاة للدولة السعودية الأولى فى عهدإمامها سعود الكبير.(٢٨)

وقد أثارت هذه الأحداث تخوف بريطانيا على مصالحها فى الخليج فأرسلت قوة بحرية جاءت من الهند واحتلت رأس الخيمة عام ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م . وتحت إلحاح حاكم مسقط قامت هذه القوة البحرية الانجليزية ببعض الأعمال العسكرية التهديدية فى ميناء شناص ثم بعدها عادت إلى الهند .

وقد تحدى القائد السعودى مطلق المطيرى هذه الاجراءات . فهاجم قوات حاكم مسقط وكسرها قرب شناص . ثم تقدم بقواته إلى سهل الباطنة وبعدها عاد إلى مركزه فى البريمى .(٢٩)

ونلاحظ من الأحداث السالفة الذكر أن مركز حكومة الدرعيّة كان قوياً فى عمان فدخلت معظم بلدانه من الجنوب والشمال والشرق . ودفع حكام مسقط الزكاة لها . وقد نشرت الدولة السعودية مبادئ دعوتها فى المنطقة بين القبائل العدنانية السنية . وأقامت فى المنطقة القرى والقصور والمساجد وغير ذلك من المعالم التى ما زالت باقية إلى يومنا هذا فى المنطقة(٣٠) . وغدت قبائل : نعيم وبنى ياس وآل على والعوامر وبنى قتب وبنى كعب والهشم والجنبة وبنى راسب والقواسم ، قبائل تؤمن بمبادئ الدعوة السلفيّة وهى جميعها من القبائل السنية الغفارية .

وعلينا أن نلاحظ أن توغل القوات السعودية فى أعماق الأراضى العُمانية كان قد ركز فى مطالبة حكام مسقط بريطانيا بدعم حكمهم . وهذا بدوره نشط حركة النفوذ البريطانى فى المنطقة ، بخاصة بعد أن انشغلت الدولة السعودية الأولى فى الدفاع عن حدودها الغربية ضد حملات محمد على والدولة العثمانية عليها .

الدّولة وسَاحل عُمَان

نلاحظ أن دخول قبيلة نعيم فى طوع الدولة السعودية وتطبيقها لمبادئ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى المنطقة ، كان قد عزز النفوذ السعودى فى ساحل عمان . ومنذ اللحظة التى انضمت فيها نعيم للسيادة السعودية بدأ السعوديون فى إقناع قبائل المنطقة

للإنضمام فى بوتقة الدولة السعودية الأولى . وقد وجه السعوديون نداءهم هذا إلى القواسم سكان رأس الخيمة عن طريق اقناع رئيسهم الشيخ صقر بن راشد فى الإنخراط فى سلك الدولة . إلا أن زعيم القواسم رفض هذا النداء . وعندما لجأت الدولة إلى محاربته عن طريق قبائل نعيم ، فقد قاومها وصمد فى مقاومته .[٣١] عندها تدخلت الدولة السعودية . فقامت بإرسال قوات عسكرية بقيادة مطلق المطيرى . حاصرت رأس الخيمة وقطعت الطريق بين المدينة ومزارع نخيلها كحصار اقتصادى عليها . وظل المطيرى يشدد فى الحصار حتى اضطرت المدينة إلى طلب الصلح منه عن طريق رئيس القواسم الشيخ صقر بن راشد عام ١٢١٢هـ/١٧٩٩م . وكان من بين بنود هذا الصلح أن يقبل القواسم تعاليم الدعوة وأن يدفعوا الزكاة للدولة السعودية .[٣٢]

ويقول صاحب « عقود الجمان فى أيام آل سعود فى عمان » ... عن استدعاء أهل عمان لآل سعود : « كانت الدعوة السلفيّة قد انتشرت واجاب بعض أهل عمان الدعوة إلى التوحيد . وكان أول من أجاب إلى ذلك هم أهل بلدة ضاية (الرمس) وهم من قبيلة بنى سالم من الطنيج . فكتبوا إلى الأمير سعود يستدعونه رغبة منهم فى التوحيد » .

ويقول كذلك « وهكذا حذا حذوهم أهل الجزيرة الحمراء : وهم من قبيلة زعاب من بنى سليم . والجزيرة الحمراء ليست جزيرة فى وسط البحر كما يتبادر إلى الذهن ، وإنما هى بلدة على ساحل الخليج . إذا مدّ البحر أحاط بها من جميع الجهات فلا يوصل إليها إلاّ من مخاضة معروفة لديهم . وإذا جزر البحر انحسر من ثلاث جهات . وهم أهل عدة وعدد كانوا فى بدء الأمر لم يدخلوا فى الحلف مع القواسم . ولكن فى سنة ١٢٠٢هـ/١٧٨٤م مشى إليهم الشيخ صقر بن راشد القاسمى ، فحاربهم واستولى على بلادهم ، فدخلوا فى الحلف »[٣٣] . ويقول أيضاً : « ولما علموا بوصول الأمير سعود إلى الأحساء كتبوا اليه يستدعونه إلى عمان رغبة فى دعوة التوحيد وتخلصًا من حكم القواسم . ولهذا كان آل سعود يقدمون هؤلاء على غيرهم من أهل عمان لأنهم يعدونهم أهل السابقة » .

ونلاحظ من هذا النص :

١ ـ أن أهل عمان . سكان بلدة الرمس أجابوا بقبول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وهم كذلك الذين استدعوا آل سعود إلى بلدهم .

٢ ـ انتشار دعوة الشيخ وبالتالى توسيع رقعة الدولة فى هذا المكان بشكل سلمى .

٣ ـ إن أهل الجزيرة الحمراء وهم قبيلة زعاب من بنى سليم كانوا قد حذوا حذو أهل الرمس . أى بمعنى أنهم أطاعوا الدولةالسعودية وآمنوا بدعوة الشيخ بشكل سلمى كذلك ، بخاصة وأنهم يريدون التخلص من حكم القواسم .

والذى يقرأ رواية لمع الشهاب فى مسألة دخول قبيلة زعاب فى دعوة الشيخ وانضمامها إلى الدولة السعودية الأولى يجد الفرق الشاسع بين مفهوم روايته ومفهوم رواية صاحب « عقود الجمان » فيقول صاحب لمع الشهاب : « وأما أطراف قواسم رأس الخيمة مثل زعاب ، أهل الجزيرة الحمراء ، فلم يؤدوا الطاعة لمطلق . وكذا طنيج أهل الرمس ، فإنهم حاربوا آل سعود بعد إطاعة القواسم باربع سنين ، ثم أطاعوا بعد ذلك ... » (٣٤)

ويلاحظ من هذه الرواية أن انضمام هذه الجماعة إلى الدعوة والدولة السعودية كان بعد عملية حربية ضدهم أجبرتهم على قبول الدعوة والانضمام إلى الدولة . بينما توضح لنا رواية صاحب « عقود الجمان » أن هذه الجماعة آمنت بالدعوة وانضمت إلى الدولة عن طريق سلمى . وفى اعتقادى أن رواية صاحب عقود الجمان أقرب إلى الحقيقة ، بخاصة وأن هذه الجماعة كانت ترى ضرورة التخلص من سيطرة القواسم عليهم ، وكان لا يمكن أن يتم هذا إلا بعد مناصرة آل سعود لهم لأنهم القوة المحلية القوية فى المنطقة . وهذا يجرنا إلى طرح سؤال هو . إذا كان القواسم قد أطاعوا الدولة السعودية قبل قبيلة زعاب بأربع سنوات فكيف تقبل الدولة مناصرة زعاب على القواسم أصحاب النفوذ فى المنطقة وهم أصحاب السابقة فى الدخول فى طاعة الدولة ؟ ثم مادام أن زعاب تخضع للقواسم والقواسم خضعوا للدولة ، إذاً لابد وأن تكون طاعة زعاب طاعة أتوماتيكية ولا تحتاج إلى طلب التدخل السعودى ضد سيادة القواسم عليهم التى امتدت منذ عام ١٢٠٢هـ/١٧٨٤م .

وصُول الدّعـوة والدّولة
إلى جعــلان

كان الشيخ سالم بن على بن سلطان آل حمودة قد توجه إلى الدرعية ودرس هناك تعاليم دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ثم بعدها عاد إلى بلاده جعلان وبدأ ينشر أفكار الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته . وساعده فى هذا المجال أخوه الشيخ محمد ابن على بن سلطان آل حمودة .

وأول عمل قام به هذا الشيخ ، أعنى الشيخ سالم ، هو أنه رفض دخول جعلان إلاّ بعد أن تهدم قبة كانت مقامة على قبر تعبد من دون الله . لكن شيوخ المنطقة وعجائزهم رفضوا هذا الطلب عندما امتنع الشيخ سالم من دخول جعلان ، وبقى خارج المنطقة وأخذ الشباب يترددون عليه فيكرمهم ويذبح لهم ويعلمهم الدعوة ، فصاروا من أتباعها ، وتقوى بهم هذا الشيخ ، ولما كثروا هجموا على القبة ودمروها . وأخذ أمر الشيخ سالم فى تقدم ، واتباعه فى ازدياد حتى عمت الدعوة جميع السكان . إلا أن هذا العمل أدى بالسلطان السيد سعيد إلى محاربة أهل جعلان ، حتى أن حلفاءه الإنكليز كانوا قد شاركوا فى الهجوم عليهم . وممّا أغضب حاكم مسقط آنذاك هو ترك أهل جعلان مذهب الأباضية واعتناقهم تعاليم السلفيّة . وقد كسر الجعلانيون السيد سعيد بالرغم من أن قواته تمتلك ثمانية مدافع وعددها الفى مقاتل . وجرح فى الموقعة السيد سعيد وذلك فى ٩ نوفمبر ١٨٢٠م/١٢٣٥هـ .

والجدير بالذكر .. أن سكان جعلان هم من بنى على . وقد وصفهم المؤرخ العمانى عبد الله السالمى فى مؤلفه « تحفة الأعيان فى سيرة أهل عمان » بأنهم « أهل عدة وعدد وصولة يضرب بها المثل . يعتقدون القتال ديناً . وكان السلطان سعيد بن السلطان قد جيش لهم الجيوش من أهل عمان »(٣٥)

أمـراء الـدّولة السعودية الأولى
فى الـــبريمى

نجد فى مخطوط « عقود الجمان فى أيام آل سعود فى عمان » سجلاً ممتازاً لأمراء الدولة

السعودية الأولى فى عمان[٠] ، وإن كان هذا السجل مأخوذاً فى معظمه من كتاب « عنوان المجد فى تاريخ نجد » لمؤلفه عثمان بن بشر . فنجد فى هذا المخطوط معلوماته قيمة عن هؤلاء الأمراء وأعمالهم وفترات أمارتهم والقصور التى أقاموا فيها أثناء الفترة التى قضوها فى الإمارة وشعور الأهالى العام وانطباعهم تجاههم .

وبعد الدراسة المقارنة من المصادر عن هذا الموضوع أصبح بالإمكان وضع جدول بالأمراء السعوديين الذين تولوا إمارة البريمى والمنطقة السعودية التابعة لها فى عُمان وساحلة[٣٦] .

الأمـــير	سنة ولايته	معـــلومات عنـــه
١ ـ إبراهيم بن سليمان ابن عفيصان	١٢١٠هـ ـ ١٧٩٥م	اتخذ مقره فى هالة . بنى فى هالة قصر الصبارة . عقد أول معاهدة مع القواسم عام ١٢١٤هـ/١٧٩٩م .
٢ ـ سالم بن بلال الحرق	١٢١٨هـ ـ ١٨٠٣م	وهو من موالى آل سعود . وفى فترة إمارته فى عمان امتد نفوذ آل سعود فيها بشكل واسع . فوصل حكمهم أرض بنى عامر وساحل الباطنة والظاهرة وجهات شمالية أخرى . ثم امتد نفوذهم باتجاه الجنوب .
٣ ـ مطلق بن محمد المطيرى	١٢٢٢هـ ـ ١٨٠٧م	ذكر المؤرخ العمانى عبد الله السالمى فى مؤلفه « تحفة الأعيان » : أن الأمير مطلق ابن محمد المطيرى جاء إلى عمان عام ١٢٢٢هـ . وتردد هذا الأمير على عمان ثلاث سنوات . ويذكر السالمى أن مجيئه إلى عمان كان عذابًا وبلاء عليها .
٤ ـ أمير غير معروف الإسم	١٢٢٣هـ ـ ١٨٠٨م	جاء هذا الأمير على رأس سرية صغيرة فى السنة المذكورة إلى أن قدم إلى عمان الأمير عبد الله ابن مزروع .[٣٧]

الأمـــير	سنة ولايته	معـــلومات عنـــه
٥ ـ عبد الله بن مزروع	١٢٢٤هـ ـ ١٨٠٨م	يذكر صاحب المخطوط نقلاً عن ابن بشر أن هذا الأمير هو صاحب منفوحة . أرسله الإمام سعود بن عبد العزيز إلى عمان بعد إحراق الإنكليز رأس الخيمة . نزل هذا الأمير في قصر البريمي .(٣٨)
٦ ـ مطلق بن محمد المطيري	١٢٢٤هـ ـ ١٨٠٩م	عاد إلى عمان للمرة الثانية ليثأر ممن تسبب في إحراق البريمي .(٣٩)
٧ ـ أمير غير معروف الإسم	١٢٢٥هـ ـ ١٨٠٩م	أرسله الإمام سعود بن عبد العزيز .(٤٠)
٨ ـ عبد العزيز بن غردقة	١٢٢٥هـ ـ ١٨١٠م	جاء إلى البريمي بعد عزل المطيري . وهو صاحب الأحساء . قتل في السنة المذكورة .(٤١)
٩ ـ مطلق بن محمد المطيري	١٢٢٥هـ ـ ١٨١٠م	جاء إلى البريمي للمرة الثالثة ليثبت دعائم الوضع السعودي فيه بعد أن أصابه خلل شديد بعد قتل ابن غردقة .
١٠ ـ بتال بن محمد المطيري	بـــدون	وهو أخو مطلق بن محمد المطيري .

القصور السعودية
في البريمي والمناطق العُمانية

هناك في البريمي وفي عمان والمناطق العمانية الساحلية عدد من القصور التي بناها السعوديون في المنطقة أو تلك القصور التي اتخذها الأمراء السعوديون مركزًا لإقامتهم . هذا إلى جانب عدد من المساجد والجوامع المقامة في المنطقة في العهد السعودي في فترة حكمه الأولى .

وإليك جدولاً فيه بعض التفصيلات عن هذا الموضوع :

القصر	معلومات عنه
١ ــ قصر الصبارة	أول قصر بناه آل سعود في البريمي . يقع شرقي حماسا قال عنه الزيخاني إنه قصر بُني على مرتفع من الأرض يبلغ حوالي ألف قدم . شيد هذا القصر في عهد الإمام سعود الكبير .
٢ ــ قصر ظاية	بناه آل سعود في بلدة ظاية فوق الرمس . وتقع ظاية في الشمال الشرقي من رأس الخيمة . بني هذا القصر بسفح الجبل . وهو من أعظم قصور آل سعود في عمان فيه غرف ومرابيع كثيرة وفيه مستودعات للذخائر . ومن أكبر غرفة الغرفة المقابلة للباب سميت بغرفة المطيري لأن الأمير المطيري كان يتخذه مجلسًا له . يحيط القصر سور سميك من خلفه خندق واسع وعميق . وفيه مسجد جامع كبير . مازالت آثاره باقية إلى الآن . تم بناء القصر عام ١٢١٣هـ . بناه الشيخ محمد بن راشد السالمي شيخ ظاية بعد أن فوضه آل سعود بذلك .
٣ ــ قصر النجدي	بني في قرية الغب التابعة لرأس الخيمة مازالت آثاره باقية إلى الآن . عرف هذا القصر باسم قصر النجدي .

الأمــير	معــلومات عنــه
٤ ـ قصر فلج القبائل	مبنى فى واحة فلج القبائل . وهو من أكبر القصور السعودية فى المنطقة . آثاره باقية إلى الآن . يقع هذا القصر إلى الجانب الجنوبى الشرقى من مسجد الجامع أمام بيت الشيخ أحمد بن على . سكان بلد الفلج من بنى خالد من أنصار آل سعود . وفلج القبائل عبارة عن واحدة ذات نخيل وأشجار . وهى قريبة من صحار .
٥ ـ قصر العيجة	والعيجة إحدى قرى صحار . كان قصر العيجة مركزًا للأمير مطلق المطيرى . وهناك روايتان حول بناء هذا القصر . الأولى : تقول إن المطيرى هو الذى بناه . وتقول الرواية الثانية إن القصر كان مبنيًا قبل مجئ مطلق المطيرى . ولما جاء المطيرى إلى المنطقة سيطر على القصر بمساعدة من بنى على سكان المنطقة .
٦ ـ قصر شناص	استولى عليه أمراء آل سعود عند دخولهم البلد وتقع شناص على ساحل بحر الباطنة . وهى ذات مركز ممتاز .
٧ ـ خمسة قصور فى ديار بنى كعب	وهى متفرقة ومازالت حتى الآن .

وتوجد مجموعة من القرى التى أنشأها آل سعود فى المنطقة مثل قرية اذن وتقع بين رأس الخيمة ودبى . أنشأها الأمير مطلق المطيرى . وجعل أعلاف خيوله فيها . وقرية فعلى التى تمر بالقرب منها طريق المطيرى . وقرية طى القريبة من طرق القوافل الذاهبة إلى نجد وتعرف قرية طى بجزائر المطيرى[٤٢] .

هَوَامش الفَصْل الرّابع

(١) مؤرخ مجهول : لمع الشهاب فى سيرة محمد بن عبد الوهاب . تحقيق الدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمة ، طبع ببيروت فى مايو ١٩٦٧م . ص ٦٢ .

(٢) مؤرخ مجهول : المصدر السابق . ص ٧٥ – ٧٦ .

(٣) محمود بهجت سنان . البحرين درة الخليج العربى ، ط ١ . ص ١٢٢ .

(٤) حسين بن غنام . روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال ناصر الدين الأسد . ص ١٨٠ . القاهرة : ١٣٨١هـ/١٩٦١م .

(٥) مؤرخ مجهول ، لمع الشهاب فى سيرة محمد بن عبد الوهاب . تحقيق الدكتور أحمد أبو حاكمة ، ص ٧٨ ، بيروت ١٩٦٧م .

(٦) لمع الشهاب ، ص ٧٨ .

(٧) انظر : Bombay Government, Selection of Treaties. Vol. XXV. p. 141.

(٨) عثمان بن بشر ، عنوان المجد فى تاريخ نجد ، جـ ١ . مطابع الرياض الحديثة . ص ١٥٠ .

(٩) رحمة بن جابر الجلاهمة : هو من العتوب إلا أنه ينقم على آل خليفة وعلى آل صباح لأن كلاً منهما حكم منطقة من مناطق الخليج . دون أسرة رحمة . لذا فكان رحمة يقدم العون لكل من يهاجم آل خليفة إنتقاماً منهم على ما أصاب أسرته . ارجع فى هذا الموضوع إلى د. جمال زكريا قاسم فى مقال له عن رحمة بن جابر الجلاهمة . نشر بحولية كلية آداب جامعة عين شمس بالقاهرة عام ١٩٦٤م .

(١٠) انظر مجلة المشرق البيروتية . العدد رقم ١٠ . الصادر عام ١٩٠٤م . ص ٤٤٩ – ٤٥٨ . مقال منشور حول تسمية الكويت للأب أنستاس الكرملى . وانظر كذلك : د. سيد نوفل . الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربى الجزء الأول . طبع معهد الدراسات العربية بالقاهرة . ط ٢ . ١٩٦٨م . ص ١٦١ و ١٦٢ .

(١١) د. جمال زكريا قاسم : رحمة بن جابر الجلاهمة ، حولية كلية آداب عين شمس بالقاهرة . ١٩٦٤م . ص ١٨٢ .

(١٢) حسين خلف خزعل : تاريخ الكويت . الجزء الأول . بيروت : ١٩٦٢م . ص ٤٣ .

(١٣) انظر عبد العزيز حسين : المجتمع العربى فى الكويت . معهد الدراسات العربية (بدون) . ص ٢٢ . وكذلك راشد عبد الله الفرحان : مختصر تاريخ الكويت . القاهرة : ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م . ص ٦٣ .

(١٤) حسين خلف خزعل : المرجع السابق ، ص ٥٦ .

(١٥) سيف مرزوق الشملان : من تاريخ الكويت . القاهرة : ١٩٥٩م ، ص ١٢٣ .

(١٦) سيف مرزوق الشملان : المرجع السابق . ص ٥٦ .

(١٧) عبد العزيز حسين : المرجع السابق ، ص ٢٥ .

(١٨) إن ساحل عمان أو ما يسمى اليوم بالامارات العربية المتحدة كان قد سمى بعدة أسماء فى عهد النفوذ والاستعمار البريطانى فى المنطقة . فقد أسماه الإنجليز بساحل القرصنة «Pirate Coast» ويتضح من هذه التسمية مدى تجنى بريطانيا على التاريخ والحق عندما تعد الجهاد ضدها قرصنة . ثم غيرت بريطانيا تسميته هذه إلى تسمية أخرى بنتها على متغيرات الأحداث فى المنطقة فصارت تسمية بالساحل المهادن أو الساحل المتهادن «Trucial Coast». ثم غيرت تسميته بناءاً على متغيرات الأحداث التى أجرتها بريطانيا فى المنطقة ، إلى إسم الساحل المتصالح أو ساحل الصلح «Peace Coast». فنلاحظ من تطور هذه التسمية مدى نفوذ بريطانيا فى صنع أحداث المنطقة والتأثير عليها وقتذاك .

(١٩) لمع الشهاب : المرجع السابق ، ص ١٦٧ ـ ١٦٨ .

(٢٠) Handbook of Arabia, Vol. I., p. 240.

(٢١) لمع الشهاب ، المرجع السابق ، ص ٧٨ .

(٢٢) لمع الشهاب ، نفسه ، ص ٧٩ .

(٢٣) لمع الشهاب ، نفسه ، ص ٧٩ .

(٢٤) عرض حكومة المملكة العربية السعودية فى شأن النزاع حول واحات البريمى الجزء الأولى ، ص ١١٤ نشرت وثائق هذا العرض عام ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م فى القاهرة .

(٢٥) د. سيد نوفل : الأوضاع السياسية ، جـ ٢ ، ص ٥١ .

(٢٦) أشارت إلى هذا وثائق حكومة بومباى : ص ١٧٤ فى المجلد رقم ٢٤ .

Bombay Government: Selections of Treaties from the Records of Bombay. Vol. XXIV.

(٢٧) لمع الشهاب : المرجع السابق ٨٥ و ٨٦ .

(٢٨) لمع الشهاب ، المرجع السابق ، ص ٨٨ .

(٢٩) قدرى قلعجى ، الخليج العربى ، بيروت ١٩٦٥م ، ص ٤١٠ .

(٣٠) ارجع فى هذا الأمر إلى : عبد الله بن صالح المطوع فى مخطوطه «عقود الجمان فى أيام آل سعود فى عمان» والمخطوط محفوظ فى مكتبة آرامكو بالظهران .

(٣١) انظر : Kelly (J.B.),: Eastern Arabian Frontiers, (London 1964), p. 55. وكذلك : لمع الشهاب ص ٧٩ .

(٣٢) لمع الشهاب : ص ٧٩ و ٨٠ .

(٣٣) انظر المخطوط لمؤلفه الشيخ عبد الله بن صالح المطوع من أهالى الشارقة بساحل عمان ورقة (٤٨ و ٤٩) .

(٣٤) لمع الشهاب : ص ٨١ .

(*) والجدير بالذكر أن مؤلف لمع الشهاب كان قد تحامل على الدعوة السلفية والدولة السعودية الأولى فى مؤلفه هذا . مع العلم أن المؤلف مجهول إلا أن ناسخ الكتاب معروف وهو حسن الريكى . والريك منطقة فى إيران .

(٣٥) عبد الله بن صالح المطوع ، عقود الجمان فى أيام آل سعود فى عمان . ورقة ٨١ من المخطوط .

(*) إن المؤرخ عبد الله السالمى ، مؤرخ يناصر عمان ، فتأتى كتاباته متحمسة للعمانيين وحكامهم .

(*) هذا مأخوذ من مقال للدكتور أبو علية عنوانه «دراسة تاريخية حول مخطوط عقود الجمان فى أيام آل سعود فى عمان» .

(٣٦) انظر المخطوط من ورقة ١٤٩ إلى ورقة ١٥٥ .

(٣٧) يقول المؤرخ النجدى عثمان بن بشر فى مؤلفه «عنوان المجد فى تاريخ نجد» الجزء الأول . ص ١٧٥ مطابع القصيم بالرياض الطبعة الثالثة ١٣٨٥هـ مايلى : «وفى سنة ١٢٢٣هـ» بعث سعود رحمه الله تعالى سرية إلى عمان قليلة لتعليم فرائض الدين والاطلاع على أحوالهم» .

(٣٨) يقول ابن بشر ، جـ ١ ، طبعة مطابع القصيم ١٣٨٥ هـ ، ص ١٨٠ مايلى «وفيها (١٢٢٤هـ) أقبلت مراكب الإنكليز النصارى إلى مستنجدهم سعيد إبن سلطان صاحب مسقط المعروفة فى عمان بعد نقض العهد . وقصدوا أهل بلد رأس الخيمة المعروفة فى عمان ورئيسها يومئذ سلطان بن صقر ابن راشد أمير القواسم . وبندروا فيها وحاربوا أهلها فلم يحصلوا على طائل فرفعوا على البلد بلوناً وجعلوه فى عين الشمس وقابلوا به البلد فاشتعلت النار فيها وكان أكثر بيوتها صرايف من عسيان النخل ، فدخلوا البلد واستباحوا ونهبوا ما فيها وأشعلوا فيها النيران ودمروها . هرب سلطان بن صقر وغالب أهل البلد حتى فرغ العدو منها ، وانتقل عنها فرجعوا إلى بلادهم فعمروها وحصنوها . ثم أن سعوداً أرسل إلى عمان عبد الله بن مزروع صاحب منفوحة وعدة رجال من أهل نجد وأمرهم بنزول قصره المعروف فى عمان ، مع مطلق المطيرى بجيش من أهل نجد وأمر أهل عمان بالاجتماع عليه والقتال معه ، فاجتمع عليه مقاتلة أهل عمان مع ما معه من أهل نجد فقاتل أهل الباطنة صحار ونواحيها ومن تبعهم ورئيسهم يومئذ عزان بن قيس ، وقاتلوا سعيد بن سلطان صاحب مسقط ..» .

(٣٩) يقول ابن بشر ، جـ ١ ، ص ١٨٠ ـ ١٨١ ، طبعة القصيم ١٣٨٥هـ مايلى : «.. ثم أنه اجتمع مع مطلق المطيرى جميع من هو من رعية سعود من أهل عمان فنازل أهل صحار

بالوف من المقاتلة . ودخلت سنة خمس وعشرون وهم على ذلك يقتلون ويغنمون ، وأخذ مطلق ومن معه قرى كثيرة من نواحى صحار من أهل الباطنة . وبايع غالبهم على دين الله ورسوله والسمع والطاعة . ولم يبق محارب إلا سقط ونواحيها مملكة سعيد وما تحت ولاية عزان بن صحار ، وغنموا منها غنائم كثيرة ، زائدة وبعثوا الأخماس إلى سعود فى الدرعية ..» .

(٤٠) يقول ابن بشر ، جـ ١ ، ص ١٨٨ ـ ١٨٩ : مطابع القصيم ١٣٨٥هـ مايلى : وقع خلاف بين الإمام سعود بن عبد العزيز وأبنائه تركى وناصر وسعد فرحل الأبناء إلى عمان ، وقاموا بحرب بلد مطرح والباطنة وجعلان وصور وصحار .. الخ . وكان الإمام سعود آنذاك يؤدى فريضة الحج . فلما سمع بذلك :

«.. أفزعه ذلك وغضب غضبًا شديدًا ، فلما رجع إلى الدرعية طلب منه رؤساء أهلها أن يعفو عنهم ويرسل إليهم ويبذل لهم الأمان . فأبى ذلك فبعث جيشًا من الدرعية نحو أربعين رجلاً . وقال لهم . اقصدوا قصر البريمى المعروف فى عمان واخرجوا منه المرابطة الذين فيه وامسكوه ، ولا تدعوا أحدًا من أبنائى ولا أحدًا من جنودهم يدخله..» .

(٤١) يقول ابن بشر جـ ١ ، ص ١٨٩ ، مايلى :

«.. فلما خرج هؤلاء (مطلق المطيرى وأبناء سعود والجيش التابع لهم) من عمان وقع فيه بعض الخلل ونقض العهد أكثر بنى ياسر : فكتب سعود لعبد العزيز بن غردقة صاحب الأحساء وأمره أن يقصد عمان ويكون هو أمير الجيوش فيها . وأمره على غزاة يسيرون معه . فلما وصل عمان وقع بينه وبين بنى ياسر وغيرهم من أهل عمان وقعة وصارت هزيمة على عبد العزيز ومن معه فقتل عبد العزيز المذكور..» .

(٤٢) إرجع فى ذلك إلى : عبد الله المطوع : عقود الجمان فى أيام آل سعود فى عمان ، تحت موضوع قرى آل سعود فى عمان .

الفَصْل الخَامِس

أنظمَة الدّولة وعلاقَاتها الخَارجيّة بالدّول الأجنبيّة

نظَام الحُكم أو النظَام السيَاسى

- الإمام الحاكم
- ولىّ العهد
- أُمَراء الأَقَاليم
- الشُّورَىٰ
- النظَام الحزبى
- النظَام القضَائىّ
- النظَام المَالى
- مصرُوفَات الدّولة من بيت المَال
- علاقَات الدّولة الخارجيّة
- العلاقَة بين الدّولة السعوديّة وبريطَانيا
- علاقَة الدّولة السعوديّة الأُولىٰ بفرنسا
- علاقَة الدّولة السعوديّة الأُولىٰ بدولة العَجم

نظـام الحُـكم أو النظـام السّـيَاسى

ويشتمل هذا النظام على المناصب التالية :

الإمَـام (الحَـاكم)

وهو فى قمة النظام السياسى ، وهو الرئيس الأعلى للدولة وصاحب السلطات الفعلية فيها . ولقب الإمام يشتمل على الزعامتين : الدينية والسياسية . والإمامة ليست منصباً حديث العهد بل هى سلطة سياسية دينية جرى عليها المسلمون فى عهد الخلفاء الراشدين بعد النبى صلى الله عليه وسلم[1] . فالإمام هو القائد العام للمسلمين وهو رئيسهم فى أمورهم الدينية[2] .

فالإمام هو المشرف العام على جميع شؤون الدولة . فهو يشرف على الأمور الحربية وبيده حق ابرام معاهدات الصلح وإعلان الحرب ضد العدو . ويشرف على شؤون الأمن فى البلاد وتحل عنده المسائل والخلافات المعقدة . ويشرف على شؤون البلاد المالية . وهو المتصرف والمسؤول الأول عن بيت المال . ويشرف على شؤون التعليم ويهتم بأمر الفقراء والمساكين .

وممّا يدعم سلطان الإمام اعتماد الإمامة فى حكمها على مبادئ الشرع والدستور الإسلامى الذى لا يجرؤ الفرد على مخالفته ، وهذا ما يعطى الإمام صلاحية مطلقة فى العمل والاشراف ما دام متمشياً مع الشرع ومطبقاً لتعاليمه .

كان الإمام فى الدولة السعودية الأولى يقود الجيوش الغازية فى أكثر الأوقات ، باستثناء حالات المرض أو السفر أو الظروف التى تحول دون مشاركته فى الغزو ، وفى مثل هذه الحالات كان ينوب عنه ولى عهده .

ويقيم الإمام ويمارس مهام عمله فى الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى . وكان له ديوان فى قصره يجتمع فيه مع مستشاريه وقضاته وأمرائه ورؤساء الأقاليم وشيوخه والعلماء .

وَلِى العَهْــــد

كانت ولاية العهد فى الدولة السعودية الأولى تعهد إلى الإبن الأكبر من أبناء الإمام الحاكم . فكان الإمام يعهد لأكبر أبنائه بمهمة ولاية العهد ويعهد إليه بقيادة الجيوش الغازية . ويعطينا ابن بشر وصفاً لما كان يتم عند إعلان ولاية العهد فيقول : « أمر الشيخ محمد ــ رحمه الله تعالى ــ أهل بلدان نجد وغيرهم أن يبايعوا سعود بن عبد العزيز ــ رحمه الله ــ ، وأن يكون ولى العهد بعد أبيه وذلك بأمر عبد العزيز فبايعه جميعهم [٣] »

ومن سلطات ولى العهد وواجباته أنه ينوب عن الإمام فى القيام بمهام الدولة أثناء غيابه فى حالات الغزو أو المرض ... إلخ . وكثيراً ما كان يمارس ولى العهد الأمور الحربية والإدارية أثناء عهد أبيه وذلك من أجل تدريبه وإعداده للمستقبل وكى يتعرف على الناس ومشكلاتهم .

أمَــرَاء الأقَــالِيم

كان الإمام يعين على أقاليم دولته أمراء يطلق عليهم لقب أمراء الأقاليم أو حكام الأقاليم . وقد وجدت هذه المناصب العليا فى المناطق لتسد الحاجة الإدارية بعد أن توسعت الدولة فشملت العديد من المناطق .

وقد راعى الإمام أن يكون حكام الأقاليم ممن التزموا بتعاليم الدعوة السلفيّة فأخلصوا بولائهم للدولة السعودية وحرصوا على تطبيق نظمها . أضف إلى هذا فإن الإمام كان يحترم الرؤساء المحليين لما لهم من نفوذ قوى عند جماعتهم وفى مناطقهم من جهة ولأنهم أدرى بمشكلات سكان مناطقهم من غيرهم لأنهم على صلة قوية بهم من جهة أخرى .

ومنصب الأمــير أو حاكم الإقليم منصب مهم وحساس لأنه من المراكز القيــادية فى الدولة . فالأمــير فى إقليمه هو الممثــل الأول للإمام فى هـذا الإقليم . وهو المشرف على إدارته وماليتــه . وهو المسؤول الأول عن قيــادة غزوه وتجميعه عن الطلب أو عند إعلان النفير العام . ومن هنا فإن الأمير يتمتع بسلطات واسعة فى إقليمه [٤]

ومع هذه السلطات الواسعة الممنوحة لأمراء الأقاليم إلاّ أن شخصيتهم القيادية والأعتبارية تظل فى مستوى أقل بكثير من مستوى الإمام أو ولى العهد .

ومهما يكن من نفوذ هؤلاء الأمراء (حكام الأقاليم) إلاّ أن هذا لم يعصمهم عن العزل[٥] أو النقل أو السجن أو المحاكمة أو النفى ... الخ ، وفى حال مخالفتهم لنظم الدولة أو إذا تثبت تلاعبهم وغشهم فى عملية جمع الزكاة . وإن فرض مثل هذه العقوبات على الأفراد وتطبيقها بعدّ دلالة واضحة على مدى ما يتحلى به الإمام من سلطات قوية .

والأمير فى إقليمه هو المسؤل العام عن الإقليم . والمسؤول الأول عن تجهيز الغزو . والمسؤول عن جمع الزكاة والأعشار والجهادية . وهو المسؤول عن توزيع ما يرسله الإمام من عطايا إلى إقليمه .

وإلى جانب أمير الإقليم فإن هناك قاضى الشرع الذى يقوم بفصل الخصومات بين المتنازعين ويشرف على تطبيق أحكام الدين فى المنطقة ، إضافة إلى الأمور الأخرى التى تهم الجانب الدينى فى الإقليم . وللقضاء كلمة مسموعة عند الحكام والناس[٦]

وهناك أيضاً عمال الزكاة ووظيفتهم جمع الزكاة من السكان طبقاً لأحكام الشرع الإسلامى . وبعد عملية جمع الزكاة يقوم أمير الإقليم بإرسالها إلى بيت المال فى العاصمة .

الشـــورَىٰ

كان الإمامان محمد بن سعود وأبنه عبد العزيز يستشيران الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى كل أمور الدولة بخاصة القضايا الدينية منها . إلى جانب هذا فكان الإمامان يستشيران العلماء وأصحاب الرأى فى البلاد بخاصة أولئك الذين يقيمون فى الدرعيّة .

وقد تطور أمر الشورى فى عهد الإمام سعود الكبير . فكان الإمام سعود يستشير العلماء والأمراء وشيوخ القبائل وأصحاب الرأى فى البلاد وعند الحرب كان الإمام يشكل مجلس شورى الحرب من القادة ومن رؤساء القبائل وأصحاب الخبرة العسكرية .

وتنقسم الشورى إلى : شورى خاصة وأخرى عامة . فالشورى الخاصة تضم عدداً من الأفراد والقضاة والفقهاء والقادة وبعض أفراد الأسرة السعودية وتجتمع هذه النخبة فى العاصمة عندما يأمر الإمام باجتماعها (٧) . ويكون لها دور كبير فى حالات الحرب أو عند تعيين ولىّ العهد أخذًا بمبدأ الشورى . (٨)والشورى العامة فكانت تعقد على شكل اجتماعات عامة وفى مناسبات معينة . كدراسة بعض المشكلات المتعلقة بالأقاليم أو فى حالة حدوث فتور أو تمردقامت به بعض المناطق فى الدولة . وأن هذا النوع من الإجتماعات العامة كانت خير وسيلة لتدارس وجهات النظر المختلفة فى شأن الموضوعات المطروحة .

النظــام الحــربى

لم يكن للدولة السعودية الأولى جيش منظم بالمفهوم الذى نعرفه عن الجيوش المنظمة المتخصصة للشئون الحربية . وإنما كان لها جيش جهاد ينعقد لواؤه عندما يأمر الإمام بذلك ويعلن النفير . وكانت تعبئة جيش الجهاد تتم على الطريقة الآتية :

أولاً : كان الإمام يرسل حواويشاً إلى البوادى يحوشون رجالها للغزو . ويجتمعون فى مكان يعينه لهم الإمام ويكون عادة قرب ماء معروف لدى الجميع (٩) .

ثانيًا : كان الإمام يرسل أوامره إلى الأقاليم والمناطق يأمرهم بجمع غزوهم والتوجه إلى مكان معلوم يعينه لهم (١٠) .

ثالثًا : كان الإمام يغادر الدرعية إما يوم الخميس أو يوم الأثنين متوجهاً إلى مكان تجمع الغزو (١١) .

رابعاً : كان يُحضر الغزو معه طعامه وزاده وعتاده ورحائله وخيوله من الجياد والنجائب العمانيات (١٢) ...الخ .

يقول المؤرخ النجدى عثمان بن بشر عن هذا الموضوع ما يلى (١٣) :

كان الإمام يرسل « إلى جميع البوادى حواويش رجال يحوشونهم من أقطار الجزيرة العربية للغزو معه ، وواعدهم يوماً معلوماً على ماء معلوم . فلا يتخلف أحد منهم عن ذلك اليــوم ولا لذلك الموضع وواعداً أيضاً جميع المسلمين من أهل

البلدان موضعاً معلوماً . فيسارع الجميع إليه قبله . ثم يركب من الدرعيّة إما يوم الخميس أو يوم الأثنين ... فإذا سار وجد جميع المسلمين مجتمعين على مواعدهم فيسير بجميع المسلمين الحاضر والباد وينزل فى المنزل قبل غروب الشمس ، ويرحل قبل شروقها ويقيل الهاجرة ولا يرحل حتى يصلى صلاتى الجمع الظهر والعصر . ويجتمع الناس للدرس عنده بين العشائين كل يوم إلا قليلاً . وعند كل ناحية من نواحى المسلمين . ورتب فى كل ناحية إماماً يصلى بعد الإمام الأول الذى يصلى بالعامة ، فيصلى الثانى بالذين يحفظون متاع أصحابهم ويطبخون لهم فى صلاتهم وذلك لئلا يصلوا فرادى . فإذا قرب من العدو نحو ثلاثة أيام بعث عيونه أمامه ثم عدا فلا يلبث حتى يبغتهم وينزل قريباً منهم ... »

كان القتال يبدأ بعد صلاة الصبح . ويبدأ الأفراد قتالهم بالتكبير[١٤] . وكانت الحرب تعتمد على الشجاعة والكثرة[١٥] فى العدد لأن فنون الحرب ونظمها التدريبية تكاد تكون معدومة لديهم ، ولكنهم يجيدون الكر والفر وحرب السيف وقتال الصحراء وتحمل أهواله . إنهم يجيدون الحروب التقليدية فى طرقها وأسلحتها . إنهم يحاربون بدافع دينى قوى .

كانت أسلحة مقاتلى الدولة لا تزيد عن كونها أسلحة بدائية تقليدية هى : البنادق التى تضرب بالفتيلة والسيوف والخناجر والسهام والرماح[١٦] .

كان الإمام يوزع على جيش الجهاد الغنائم التى يحصل عليها الجيش بعد إنتصاره . فكان الإمام يأخذ خمس الغنائم لبيت المال ثم تباع الأخماس الأربعة الباقية وتوزع على الجند . فكانت حصة الفارس سهمان وحصة الراجل سهم واحد . وكانت القوات الغازية تظل فى حالة النفير هذه حتى يصدر الإمام أمراً يأمرها بالانصراف إلى أوطانها .

وكانت هناك حاميات سعودية تدخل فى عداد الجند الثابت فى الوظيفة العسكرية . وظيفتها المحافظة على الأمن والنظام فى البلدان ، وكانت تستبدل كل عام[١٧] . وكانت تتواجد فى الدرعيّة والقطيف والهفوف والبريمى ومكة والمدينة والطائف بعد انضمام الحجاز إلى الدولة . هذا إلى جانب الحرس الخاص بالإمام وولى عهده والأمراء الآخرين[١٨] .

ولم يكن للدولة السعودية الأولى سفن حربية تشكل أسطولاً حربياً للدولة بالرغم من أنها كانت تسيطر على أجزاء واسعة من منطقة الخليج العربى . وإنما كانت ـ عند الحاجة ـ تستعين بسفن الغوص التابعة للقبائل القاطنة فى الساحل[١٩] والتى تعمل فى صيد الأسماك واللؤلؤ .

وتأسيساً على نظام الجهادية أصبح بمقدور الدولة السعودية الأولى أن تجمع عدداً كبيراً من الرجال الذين يقومون بعملية الغزو والقتال ضد العدو . ويزداد هذا العدد ويقل بقدر اتساع رقعة الدولة وعدد أتباعها فكانت الدولة السعودية الأولى تضم أقاليم كثيرة وكانت حدودها مترامية الأطراف ، شملت الكثير من أرض الجزيرة العربية : نجد والأحساء وعسير والحجاز وأجزاء من مناطق أخرى .

النظـام القضـائى

قامت الدولة السعودية الأولى على أساس دينى وتسير وفقاً لأحكام القرآن والسنة واجتهادات السلف . ومن هنا فإن منصب القاضى من المناصب الحساسة والمهمة فى المنطقة لأنها على احتكاك مباشر بالناس ومصالحهم الشخصية والعامة .

ويشترط على من يتولى منصب القاضى أن يكون من علماء الشرع الذين لهم خبرة طويلة فى ممارسة العلوم الشرعية كى يستطيع الفصل فى المنازعات والشكاوى والقضايا التى تعرض عليه فى منطقة عمله . وعليه أن يتصف بالنزاهة . لا يفرق بين قوى وضعيف وبين رفيع ووضيع وبين غنى وفقير .

وكان الإمام عبد العزيز بن محمد هو أول من عين قضاة فى أقاليم الدولة السعودية . وكان اختياره للقضاة يركز على أقدرهم وأشهرهم فى ممارسة القضاء وأعدلهم فى الحكم والفصل فى القضايا . وكانت تصرف للقضاة رواتب سنوية من بيت المال .

كانت الدولة السعودية الأولى تنفذ أحكام الشرع فى عقوبة الجرائم والمخالفات . وكان القاضى يأخذ بالمذهب الذى يراه أقرب إلى الصواب ، وإن خالف ذلك مذهب الإمام أحمد بن حنبل . وكان لهذا الإجراء التطبيق أثر كبير فى تفاوت الأحكام فى الحالات المتشابهة والمتقاربة[٢٠] .

وبفضل تطبيق أحكام الشرع على المجرمين والمخالفين فى كل مناطق الدوله . وعدم التساهل فى موضوع الأمن كضرورة ملحة للمصلحة العامة . أدى هذا إلى أمن وسلام عم ربوع أقاليم الدولة . وساد شعور عام لدى الناس أن تنفيذ العقاب أمر لا تهاون فيه . ومن هنا قلّت نسبة الجرائم والمخالفات . ممّا ساعد على استتباب الأمن والنظام .

وقد وزعت الدولة القضاة على جميع الأقاليم . والقاضى يأتى فى الدرجة الأولى من حيث الرتبة بعد أمير الإقليم . ومنصب القاضى ومركزه يكاد يكون ثابتاً . وكثير من القضاة خدموا الدولة مدة حياتهم . ويعود ذلك لأن منصب القاضى منصب دينى . وأن مثل هذا المنصب يختلف تماماً عن المناصب السياسية والإدارية التى تتأثر عادة بالتغييرات السياسية والإدارية . ويزيد فى تركيز القاضى عدله وقوة شخصيته وجرأته فى تنفيذ أحكام الشرع وبعده عن الشبهات والأمور الضارة بمنصبه .

النظام المالى

كان للدولة السعودية بيت مال موارده من الزكاة : زكاة الزروع والثمار ومقدارها عشرة فى المائة . وزكاة النقدين : الذهب والفضة وهى ربع العشر أو ٢.٥٪ . وزكاة السائمة من البقر والأغنام والإبل كل منها ما عليه من زكاة . وزكاة عروض التجارة ومقدار زكاتها ربع العشر أو ٢.٥٪

يقول ابن بشر فى صدد الزكاة التى كانت تأخذها الدولة السعودية الأولى فى عهد الإمام سعود الكبير ما يلى[٢١] .

« وأما عماله الذين يبعثهم لقبض زكاة الأبل والغنم من بوادى جزيرة العرب مما وراء الحرمين الشريفين وعُمان واليمن والعراق والشام وما بين ذلك من بوادى نجد . فذكر لى بعض خواص سعود ممن قد صار كاتباً عنده . قال : كان يبعث إلى تلك البوادى بضعاً وسبعين عاملة كل عاملة سبعة رجال . وهم أمير وكاتب وحافظ دفتر وقابض للدراهم التى تباع بها إبل الزكاة والغنم . وثلاثة رجال خدام لهؤلاء الأربعة لأوامرهم وجمع الإبل والأغنام المقبوضة فى الزكاة وغير ذلك . وتلك من غير عمال نواحى البلدان من الحضر لخرص الثمار وعمال زكاة العروض والأثمان وغير ذلك . وأخبرنى ذلك الرجل أن

سعوداً بعث عماله لبوادى الغز المعروفين فى ناحية مصر . وبعث عماله أيضاً لبوادى يام فى نجران وقبضوا من الجميع الزكاة ، قال : وأتوا عُمال آل فدعان المعروفين من بوادى عنزة بزكاتهم بلغت أربعين ألف ريال من غير خرج العمال وثمان أفراس من الخيل الجياد ... والذى يأخذ سعود على بندر اللحية المعروفة فى اليمن مائة وخمسون ريال وهو لا يأخذ إلا ربع العشر . ومن بندر الحديدة نحو ذلك ، ويأتى من بوادى عنزة أهل خيبر شئ كثير ، قال : والذى يحصل من بيت مال الأحساء يقسم ثلاثاً ، ثلث يدخره لثغوره وخراجاً لأهلها والمرابطة فيه ، وثلث خراجاً لخيالته ورجالته ونوابه وما يخرجه لقصره وبيوت بنيه وبيوت آل الشيخ وغيرهم فى الدرعية ، وثلث يباع بدراهم وتكون عند عماله لعطاياه وولاته . قال . ويحصل بعد ذلك ثمانون ألف ريال تظهر للدرعية . قلت وأما غير ذلك مما يجى إلى الدرعية من الأموال من القطيف والبحرين وعُمان واليمن وتهامة والحجاز وغير ذلك . وزكاة ثمار نجد وعروضها وأثمانها لا يستطيع أحد عده ولا يبلغه حصره ولا حده وما ينقل إليها من الأخماس والغنائم أضعاف ذلك » .

ويذكر بوكهارت أن زكاة الدولة السعودية الأولى كانت تصل إلى حوالى مليونى ريال . وقد أورد بوكهارت ذلك نقلاً عن بعض أهالى مدينة مكة المكرمة[٢٢] . ويتفق ما رواه بوكهارت مع ما ذكره صاحب لمع الشهاب فى سيرة محمد بن عبد الوهاب فى أن زكاة الدولة السعودية الأولى وصلت إلى أكثر من مليونى ريال[٢٣] .

ومن موارد بيت المال ما كان يصله من خمس الغنائم وهى تشكل نسبة كبيرة من نسب واردات بيت مال الدولة السعودية الأولى . وتأتى نسبة خمس الغنائم فى الدرجة اللاحقة بالنسبة للزكاة . والجدير بالذكر أن خمس الغنائم كانت تصل من كل أقاليم الدولة التى تقوم فيها غزوات ترتب عليها وجود غنائم ، كثرة هذه الغنائم أو قلت ، فكان على أمير الإقليم أن يجمع خمسها ويرسله إلى الدرعية ليوضع فى بيت المال . ونستطيع أن نتعرف على أهمية هذا المورد عندما نجد حجم الغزوات فى ازدياد ، ومن الواضح أن حجم هذا المورد يزداد ويقل تبعاً لزيادة الغزوات وقلتها . وما أكثر الغزوات فى فترة الدولة السعودية الأولى .

مصـروفات الدّولة من بَيْت المَال

كانت الدولة السعودية تقوم بصرف أموال بيت مالها على الأوجه الآتية :

* كانت الدولة تدفع من بيت مالها لمن لهم حق فى الزكاة . فكانت توزع هذا الحق على أهله من الفقراء والمساكين كل قدر نصيبه وحاجته .

* كانت الدولة تخصص مبلغاً من المال ليصرف على أبناء السبيل . فتقدم لهم الطعام والإقامة وبعض الأموال اللازمة لسفرهم إلى بلادهم . وقد عممت الدولة ذلك فى كل أقاليمها . وقدخصصت مبلغاً من المال لكل إقليم ليصرف على هذا المجال . وكان الأمراء فى الأقاليم يقومون بصرف هذا المبلغ على أبناء السبيل فى أقاليمهم .

* كانت الدولة تخصص مبالغ من بيت المال لبناء المساجد ولتصرف على حلقات التدريس فيها . وعلى علمائها وطلابها . وعلى الأئمة والمؤذنين .

* كانت الدولة تدفع من بيت المال أجور العمال الذين يقومون بجباية الزكاة . وكانت تدفع رواتب القضاة وأمراء المناطق وجنود الحاميات السعودية فى المناطق الذين يؤدون مهمة الأمن والحراسة[٢٤] والحسبة . هذا إلى جانب مخصصات الأمراء الذين يقودون الجيوش فى القتال ويشاركون فى إدارة شئوون الدولة وأعمالها .

* خصصت الدولة مبلغاً لمصروفات الضيافة[٢٥] ولمساعدة الجماعة المتضررة من جراء النكبات والكوارث التى تحل بالبلاد والتى تؤثر على السكان . كما وخصصت الدولة مبلغاً من المال لسد حاجات بعض الأقاليم التى لا تكفى واردات بيت مالها مصروفات الأقليم واحتياجاته . إضافة إلى هذا كله فقد خصصت الدولة مبلغاً من المال للمشروعات الإجتماعية والصدقات[٢٦] .

عـلاقـات الـدولة الخَـارجيّـة كان لابد من قيام اتصالات أو احتكاكات بين الدولة السعودية الأولى وبين الدول الكبرى فى منطقة الخليج العربى .

وقد لعبت العلاقة القائمة بين الدولة السعودية الأولى وبين القوى المحلية فى

الخليج ، بخاصة تلك القوى المعارضة للدولة السعودية دوراً بارزاً فى حدوث مثل هذه الإتصالات . أعنى الاتصالات بين الدولة السعودية وبين الدول الكبرى فى المنطقة . عندما قامت بعض القوى المحلية فى الخليج بالاستنجاد ببريطانيا وطلب المساعدة منها ضد الدولة السعودية من جهة أو الإستعانة بالدول الكبرى الأخرى لتكون عوناً ودعماً لها ضد الدولة المذكورة . وقد حدث ذلك حين طلبت سلطنة مسقط من بريطانيا دعمها ضد الغزو السعودى ، وفى بعض المناسبات كانت تطلب العون من فرنسا (٢٧) وأحياناً كانت تطلب العون من دولة العجم . وكما كانت البحرين أحياناً تطلب العون من دولة العجم ضد الدولة السعودية (٢٨) .

وقد ساهم حدة الصراع القائم بين بريطانيا وفرنسا فى الشرق بخاصة فى عهد الثورة الفرنسية والحروب النابليونية فى حدوث مثل هذه الاتصالات بين الدولة السعودية وبين كل من بريطانية وفرنسا لأن كلاً من الدولتين الأجنبيتين كانت ترى ضرورة الاتصال بالقوى المحلية ذات التأثير فى أحداث الخليج . وقد ساهم التشابك المذهبى فى منطقة الخليج وما كان له من سلبيات فى إيجاد نوع من العلاقة بين الدولة السعودية وبين دولة العجم . وهكذا نلاحظ أن هناك مجموعة عوامل تضافرت فى إيجاد الاتصالات بين الدول الكبرى فى منطقة الخليج وبين الدولة السعودية الأولى .

العلاقة بين الدّولة السّعودية وبين بريطانيا

من الواضح تماماً أن العلاقة بين الدولة السعودية الأولى وبين بريطانية لم تصل إلى حد مفهوم العلاقات الخارجية بين الدول ، تلك العلاقات ذات المفهوم الدبلوماسى المعروف ، وإنما كانت عبارة عن اتصالات بسيطة أجرت بين الدولتين فى مناسبات معينة وظروف اقتضتها .

كانت هناك ثمة أحداث فى المنطقة أدت إلى ظروف الاتصال بين بريطانية والدولة السعودية الأولى . كالتحالف القائم بين السعوديين وبين القواسم الذين أصبحوا فى عداء

تقليدى مع كل من حكام مسقط ومع بريطانية . وكان هذا الأسلوب العدائى بين القواسم وبين مسقط وبريطانيا قد جر الدولة السعودية الأولى إلى خلافات مع بريطانية التى تدعم الموقف العمانى وتعادى القواسم وحلفاءهم السعوديين . بالرغم من أن بريطانيا كانت لا ترغب فى التورط فى العداء مع السعوديين لأن ذلك ـ فى نظرها ـ يجرها إلى صراع طويل معهم . ولأن هذا يجرها إلى التورط فى الشؤون الداخلية للقوى المحلية فى داخل الجزيرة العربية . ونحن نعرف أن بريطانيا دولة استعمارية تتصرف من خلال مصالحها الاستعمارية فى المنطقة تلك المصالح المتركزة فى مناطق الساحل لا فى المناطق الداخلية من الجزيرة العربية .

وقد زاد اقتناع بريطانيا بضرورة إتخاذ موقف أكثر ملاينة تجاه الدولة السعودية الأولى عندما شعرت بأن مصالحها الإستراتيجية فى الكويت وجنوب العراق أصبحت معرضة للتأثير السعودى وضغطه بخاصة بعد وصول الحملات السعودية إلى تلك المناطق وبعد نقل المراكز التجارية البريطانية التابعة لشركة الهند الشرقية من البصرة إلى الكويت .

لقد جامل رجال شركة الهند الشرقية البريطانية المسؤولين السعوديين حين قدموا لهم الهدايا وتقربوا منهم (٢٩) حفاظاً على سلامة سير بريد الشركة الصحراوى المار فى المناطق الشمالية الشرقية من حدود الدولة السعودية الأولى . وقد زاد من الاهتمام البريطانى فى عملية التقرب من الدولة السعودية ما حدث بينهم وبين الدولة العثمانية من خلافات بخاصة مع المسؤولين العثمانيين فى البصرة .

أرسلت بريطانيا رينود «Reinaud» أحد مساعدى الوكيل البريطانىماينستى عام ١٢١٤هـ/١٧٩٩م إلى الدرعية كرئيس للبعثة البريطانية الرسمية إلى العاصمة السعودية لأجراء محادثات مع المسؤولين السعوديين حول إيجاد نوع من العلاقات الودية وحسن المعاملة بين الدولتين بعدما انتاب هذه العلاقات جو من الخلافات كان مرده يعود إلى اشتراك عدد من حراس الوكالة البريطانية فى الكويت مع القوات الكويتية فى رد هجوم سعودى ضد الكويت (٣٠) .

ولم يكن موقف بريطانيا هذا هو الموقف الوحيد المعادى للدولة السعودية ، وإنما كانت هناك مواقف بريطانية مماثلة . فكانت بريطانيا تساند موقف مسقط وموقف

البحرين ضد السعوديين فى عدة مناسبات . أضف إلى هذا كله موقفها العدائى ضد القواسم حلفاء الدولة السعودية فى منطقة ساحل عُمان .

رحل رينود من الكويت إلى الدرعيّة ماراً بالقطيف والهفوف . وقد استقبل فى الدرعيّة استقبالاً حسناً من قبل السعوديين[٣١] . وأجرى رينود محادثات مستفيضة مع لإمام عبد العزيز ابن محمد وأعضاء حكومته . تركزت فى جُلها على تأمين سلامة بريد الشركة الذى يمر من البصرة إلى حلب عَبر الطريق الصحراوى التى تقطنه قبائل سعودية .

ويبدو أن بعثة رينود لم تحقق نجاحاً ملموساً فى هذا الصدد بالرغم من الحفاوة التى قوبل بها رئيس هذه البعثة فى الدرعيّة كواجب تقتضيه أصول الضيافة العربية إلاّ أن هذا الموقف يختلف كثيراً عن الموقف السياسى الذى جاء من أجله رينود . وكانت الحساسية التى تتميز بها الدولة السعودية الأولى ضد الأجانب النصارى كفيلة لأن تفشل مهمة البعثة البريطانية . كما أن موضوع الدبلوماسية بين الدولة السعودية الأولى وبين الدول الأجنبية النصرانية لم يكن مفتوحاً بل كانت الدولة السعودية تحاول تجنبه قدر المستطاع . وهذا أمر يفرضه عليها الموقف الداخلى من جهة والبنية السياسية والدينية التى قامت عليها الدولة السعودية من جهة ثانية . وممّا يفسر صحة هذا الاتجاه هو أن الجانب البريطانى كان دائماً هو البادئ فى قيام عملية الإتصالات مع الجانب السعودى . وقد عبرت بعثة رينود عن هذا الأمر . وكان الجانب البريطانى هو البادئ أيضاً فى قيام نوع من المراسلات بين الدولتين . وقد عبرت عن ذلك الرسائل التى كان يرسلها المعتمد البريطانى فى بوشهر إلى الإمام السعودى فى الدرعيّة بمناسبة حدوث أمور طارئة فى العلاقات بين الدولتين . وقد تمثل هذا النمط من المعاملة فى الرسالة التى أرسلها المعتمد البريطانى فى الخليج إلى المسؤولين فى الدرعيّة بعد اشتراك بريطانيا إلى جانب حاكم مسقط ضد القواسم فى الساحل العمانى . حيث أشارت الرسالة إلى أن الموقف البريطانى كان إلى جانب حاكم مسقط ضد القواسم لأن القواسم نقضوا شروط معاهدة عام ١٢٢١هـ/١٨٠٦م . ومن هنا فإن بريطانيا تحمل مسؤولية تدهور الموقف إلى القواسم . ومن هنا كان على حلفائهم السعوديين أن لا يظهروا استياءهم تجاه

ما قامت به بريطانية ومسقط من عمل حربي ضدهم[٣٢] . كما وأن على السعوديين أن لا يؤازروهم لأنهم هم الذين نقضوا شروط الإتفاق المبرم بينهم وبين بريطانيا .

ويبدو لنا أن بريطانية كانت تتخذ مثل هذه الاجراءات اللينة تجاه الدولة السعودية الأولى لعدة اعتبارات من أهمها :

- ان بريطانيا كانت تتخذ مثل هذه المواقف اللينة بعد أن تكون قد نفذت هدفها وضربت ضربتها وعندئذ لا داعي للموقف المتشددة أو الموقف العنيف .
- ان بريطانيا كانت مقتنعة بأن الدولة السعودية الأولى تشكل قوة محلية موثرة فى الخليج . ومن هنا لابد من التعامل معها بشكل لا يغضبها .
- ان بريطانيا كانت تهدف من وراء موقفها هذه أن تبعد الدولة السعودية عن مراكز نفوذها فى المنطقة .
- ان بريطانيا كانت تحاول أن تجعل نفسها قوة محايدة فى المنطقة . ومن هنا فإن بإمكانها أن تلعب دور الوسيط فى النزاع بين القوى المحلية فى المنطقة . مقتنعة أن مثل هذا الموقف سيكون له إيجابياته الكثيرة على مصالحها فى الخليج .

ونلاحظ أن بريطانية كانت تفضل أن تكون علاقتها بالدولة السعودية فى فترة الربع الأول من القرن الثالث عشر الهجرى/السنوات العشر الأولى من القرن التاسع عشر الميلادى ، علاقة ود وسلام . بالرغم من أنها تساعد خفية وأحياناً بشكل علنى القوى المحلية الخليجية المعادية للدولة السعودية الأولى .

ويلاحظ أن بريطانية كان لا يهمها إلا أن ترى بريدها الصحراوى يمر بسلام عَبر الحدود الشمالية للدولة السعودية من جهة وأن يترقف القواسم عن مهاجمة السفن البريطانية فى الخليج من جهة ثانية وأن تبقى مراكز نفوذها فى المنطقة بعيدة عن الصراعات المحلية لأن مثل هذه الصراعات تعرقل استراتيجيتها من جهة ثالثة .

ولابد من الإشارة هنا إلى أن القواسم كانوا ينظرون إلى بريطانيا نظرة الدولة الإستعمارية النصرانية ذات النفوذ فى الخليج . وهى تحاول جادة ضرب القوى المحلية الوطنية المعادية لها . ومن هنا فإن هجوم القواسم على السفن البريطانية فى الخليج ما هو إلاّ حركة وطنية محلية ذات صبغة دينية ضد القوى الإستعمارية النصرانية فى المنطقة .

فالقواسم يقومون بدور الجهاد الوطنى ضد بريطانية ذات السلطة المتعالية فى المنطقة . وذات النفوذ الواسع الذى يمتد فى مساوئه لا للجانب السياسى فحسب وإنما يمتد أيضاً ليكون أداة تطويع للمعاوين لوجوده فى المنطقة وليكون الوصى القوى على معظم الوحدات السياسية المحلية هناك وليكون كذلك أداة إفساد لجو الأخاء والإتحاد والوحدة بين القوى المحلية ذات الأصول الواحدة واللغة الواحدة والدين الواحد والآمال الواحدة والمصائب الواحدة . فدور القواسم كان دوراً وطنياً معبراً عن ردة الفعل ضد الوجود الإستعمارى فى بلادهم ومناطقهم .

ومع هذا كله فقد عدّت بريطانيا جهاد القواسم ضرباً من ضروب القرصنة لا لشئ وإنما لأنهم أرادوا أن تكون بلادهم لسكانها الوطنيين لا مرتعاً للدول الإستعمارية التى تنهب خيراتها وتسيطر على مقدراتها وتبذر بين سكانها بذور الخلاف والشقاق . ومن هنا كان موقف العلاقات بين الدولتين موقفاً غامضاً لأن كل دولة منهما كانت تتفاعل مع الأخرى بحذر ومن منطق عدم الإقتناع . ومن هنا لم تكن الموقف البريطانى تجاه الدولة السعودية موقفاً يدل على حسن النية . وإنما كانت بريطانيا توجه علاقتها بالدولة السعودية على ضوء متطلبات الأمور والمصالح . وأن بإمكان المرء أن يجزم بأن موقف بريطانيا من الدولة السعودية كان دائماً يتسم بالخبث والكراهية . وكانت بريطانيا لا ترغب مطلقاً أن ترى دولة قوية محلية تجاورها فى الخليج لأن ذلك يشكل مصدر إزعاج لها .

وقد اتضح الموقف البريطانى من الدولة السعودية الأولى بعد سقوط الدرعيّة حين أرسلت بريطانيا سادلر إلى الدرعيّة ليهنئ إبراهيم باشا على انتصاره على الدولة السعودية الأولى . ويتضح هذا الموقف من خلال ما قاله المسؤولون البريطانيون عن الدولة السعودية وما ألصقوا بها من تهم وصفات جارحة .[٣٧]

علاقة الدّولة السعوديّة الأولى بفرنسا

لم تكن هناك علاقة واضحة بين الدولة السعودية الأولى وبين فرنسا فى بداية عهد الثورة الفرنسية . وقد بدأت ملامح العلاقة فى الظهور بعد حملة نابليون على الشرق كجزء من الصراع الفرنسى الإنجليزى فيه .

حاول نابليون أن يخطب ود حكام الشرق ليستفيد منهم فى دعم موقف فرنسا ضد منافستها بريطانى . ومع أن هذه المحاولة لم تكن محاولة جادة وقوية فى هذه المرحلة بالذات إلا أنها كانت فاتحة تطلع فرنسا تجاه القوى المحلية فى الجزيرة العربية بخاصة تلك القوى المتواجدة فى الخليج وذات التأثير فيه .

وزاد اهتمام فرنسا بالخليج فى فترة الحروب النابليونية ، وصارت فرنسا تحاول جادة الاتصال بالقوى المحلية فى المنطقة من بينها الدولة السعودية الأولى . ومن هنا كلفت فرنسا بعثة جاردان للقيام بنشاط كبير فى مناطق العجم والخليج والمناطق ذات الأهمية فى الشرق والموصلة إلى الهند لضرب خط المواصلات الإمبراطورية فى الشرق . وتفيد المصادر أن الفرنسيين بذلوا جهداً كبيراً للوقوف فى وجه المنافسة البريطانية ، ومع هذا فلم يكن بمقدورهم أن يفعلوا شيئاً ضدهم . ومن هنا كانت كل محاولاتهم قد باءت بالفشل [٣٨] .

وتشير بعض المصادر أن بعثة فرنسية برئاسة دى لاسكارس «De Lascars» كانت قد وصلت إلى الدرعية فى عهد الإمام سعود الكبير عام ١٢٢٦هـ/١٨١١م وتباحث معه حول قيام علاقات بين الدولة السعودية وبين فرنسا . وتشير المصادر أن البعثة طلبت من الإمام السعودى أن يساند الموقف الفرنسى ضد الدولة العثمانية كى يتمكن نابليون/من الوصول إلى مناطق الشرق لضرب النفوذ الإنجليزى فى مستعمراته الشرقية بخاصة النفوذ البريطانى فى الهند . وبالمقابل فإن الإمام السعودى يصبح بإمكانه غزو ولاية الشام العثمانية . إلا أن بريطانيا كانت تراقب الموقف عن كتب ، فأرسلت بعثة إلى الإمام السعودى تنصحه بعدم الإتفاق مع فرنسا مقابل أن تضمن له إعتراف السلطان العثمانى بالكم السعودى . وتفيد المصادر أن الإتفاق السعودى الفرنسى انتهى بفشل نابليون فى حروبه فى الجهة الروسية [٣٩] .

ومن الواضح أن الواقع التاريخى لا يؤيد صحة هذا القول ، لأنه لو أن مثل هذه البعثة كانت قد وصلت إلى الدرعية لكان بإمكاننا أن نجد ذكراً لها فى الكتب المعاصرة للأحداث ، محلية أو غير محلية أو أجنبية بخاصة فى المنشورات الرسمية البريطانية . ولهذا فأن مثل هذه المعلومات تبقى مجرد أخبار مشكوك فى صحتها . حتى أن الكاتب الفرنسى جاك بيرى يشك فى قيام مثل هذه البعثة [٤٠] .

ومن هنا فإن العلاقات السعودية الفرنسية لم تكن من الوضوح بالقدر الذى وصلت إليه العلاقات السعودية البريطانية ويعود ذلك إلى ضعف النفوذ الفرنسى فى الخليج من جهة وفى الشرق من جهة أخرى . أضف إلى هذا كله فإن قوة فرنسا وعظمتها كدولة أوربية وكدولة إستعمارية كانت قد تضررت بشكل حاسم بعد سقوط نابليون وعودة فرنسا كدولة ضعيفة إذا ما قورنت بالنسبة لدولة بريطانية العظمى التى ازدادت قوة بعد السقوط النابليونى .

علاقة الدّولة السّعودية بدولة العَجم

لم تكن علاقة الدولة السعودية الأولى بدولة العجم علاقة حسنة . وقد ازدادت هذه العلاقة سوءاً بعد غزو الدولة السعودية الأولى لمناطق جنوب العراق ككربلاء والنجف عام ١٢١٦هـ/١٨٠١م .

وبعد هذا الغزو تحرك الشعور الإيرانى تجاه الدولة السعودية وقرر شاه العجم أن يتدخل وأبدى استعداده لغزو السعوديين وأخبر بذلك الوالى العثمانى فى العراق . وهدد بغزو العراق إذا لم تجب الدولة العثمانية لمطلبه وهو الإنتقام من الدولة السعودية عن طريق إرسال حملة عسكرية عثمانية قوية من العراق ضدهم(٤١) .

وكرد فعل إيرانى تجاه الدولة السعودية الأولى فقد ساعد شاه إيران حاكم مسقط ضد آل خليفة فى البحرين الذين كان يدعمهم آل سعود عام ١٢١٧هـ/١٨٠٢م . واستمرت دولة العجم فى تقديم المساعدات العسكرية لحاكم مسقط ضد آل سعود(٤١) .

وساءت العلاقة بين الدولة السعودية وبين دولة الفرس عام ١٢٢٥هـ/١٨١٠م . عندما استعان آل خليفة بالفرس وحكام مسقط فى استرداد البحرين من القوات السعودية . يقول ابن بشر فى هذا الصدد ما يلى(٤٢) :

« وفيها (سنة ١٢٢٥هـ) تحقيق عند سعود (الكبير) أن آل خليفة أهل البحرين والزبارة يقع منهم بعض المخالفات . فخاف أن يقع أكبر من ذلك فأرسل إليهم جيشا

واستعمل عليهم أميراً محمد بن معيقل ثم اتبعه بعبد الله بن عفيصان . فاجتمعوا ونزلوا عن الزبارة المعروفة عند البحرين فأقاموا فيها قريب أربعة أشهر . حتى رجع سعود من الحج . فلما رجع من الحج أرسل أمراء ذلك الجيش إلى آل خليفة وأمرهم يفدون على سعود وساقوهم كرهاً والفوا عليه فى الدرعية . . . » .

ويتابع ابن بشر كلامه بما يلى[٤٣] :

« ... ثم أن (سعوداً) أمر فهد بن سليمان بن عفيصان أن يعبر إلى البحرين ضابطاً له وجعله بيت مال . ثم أن أبناء آل خليفة نقلوا أكثر نسائهم وأموالهم فى السفن ثم هربوا من الزبارة وقصدوا صاحب مسكة سعيد بن سلطان . فاستنصروه وأرسلوا إلى العجم وبنى عتبة واستصرخوهم . وكان مراكب النصارى عند سعيد فى مكة فاستعانوهم فأقبل جموع عظيمة فى مراكب كثيرة وبندروا عند الزبارة فى الليل . فاظهروا منها بقية رجالهم وما فيها من المتاع ودمروها جملة . ثم ساروا إلى البحرين ونازلوا فهد بن عفيصان والمرابطة الذين فى قصر المنافة وهم نحو ثلاثمائة رجل فحصروهم وأقاموا على ذلك أياماً ثم أخرجوهم بالأمان على دمائهم : فأمسكوا منهم فهد بن عفيصان وأمسكوا معه ست عشر رجلاً واعتقلوهم ...» .

ونلاحظ أن الخلاف القائم بين السعودية وبين دولة العجم كان قد استغله حكام مسقط وغيرهم فى مناطق الخليج . فقد أدى هذا الخلاف إلى قيام نوع من الوفاق بين حكام مسقط وبين دولة الفرس . وقد عَبرت البعثة الدبلوماسية التى أرسلها السيد سعيد ابن سلطان برئاسة السيد سالم إلى بلاط الشاه عام ١٢٢٦هـ/١٨١١م عن هذا الوفاق . إذ كان هدفها إقامة معاهدة تحالف بين مسقط وبين فارس . وقد نجحت هذه البعثة من تحقيق هدفها وكان من ثمار ذلك أن ساعدت فارس حكومة مسقط بقوات عسكرية كانت بقيادة صادى خان حاربت إلى جانب قوات مسقط ضد السعوديين فى عُمان[٤٤] . وقد أورد ابن بشر ذكر المساعدة الفارسية لحكومة مسقط فى أحداث سنة ١٢٢٥هـ . فيقول[٤٥] : « وفى آخر شهر ذى الحجة من هذه السنة جمع صاحب مسكة سعيد بن سلطان جموعاً وعساكر كثيرة واستنصر العجم فأتاه منهم عسكر كثيف نحو ثلاثة آلاف

مقاتل وساروا إلى عُمان وعانوا فيما يليهم من رعايا المسلمين واستولوا على بلاد الجبرى وسمايل وهرب الجبرى منها . فسار مطلق المطيرى بشوكة المسلمين الذين معه فى عُمان من أهل عُمان ونجد وغيرهم فجمع الله بينهم وبين عساكر صاحب مسكة وتنازلوا واقتتلوا قتالاً شديداً فانهزمت جنود صاحب مسكة وركب المسلمون أكتافهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ... » .

وتشير وثائق مختارات بومبى إلى أن الإمام سعود بن عبد العزيز أراد أن يحول دون وقوع مثل هذا الوفاق العمانى الإيرانى ، فأرسل بعثة سعودية إلى بلاط شاه العجم من أجل إقامة علاقات ود بين الدولتين ، الهدف منه تضييع الفرصة على حاكم مسقط (٤٦) . إلاّ أن هذه البعثة لم توفق فى مهمتها .

وانحازت فارس إلى صف مسقط ، بالرغم من الخلافات التى كانت تحدث بينهما من حين لآخر .

وكم سر شاه إيران من نجاح محمد على فى القضاء على الدولة السعودية الأولى . فأرسل إليه رسالة يهنئه فيها على جهوده . وقد أورد الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم نقلاً عن وثائق دار المحفوظات القومية بالقاهرة نص هذه الرسالة فى كتابة الدولة السعودية الأولى ، ص ٢٩٣ ، الطبعة الثالثة ١٩٧٩م ، جاء فيها : « فأطلعت على ما صنعت فى قتال العرب وصبرت فى احتمال التعب . واجتهدت فى تجهيز الكتايب وتشييد الغواضب ، حتى وطبت أرجاء التهامة ، بأقدام الشهامة ، وخلصت أرض النجد ، بالعز والمجد ، وفتحت بأن الأمنية ، بفتح الدرعيّة ...إلخ » .

وقد أهدى الشاه عباس محمد على باشا سيفاً قديماً كان قد توارثه ملوك العجم عن أجدادهم لأن عمل محمد على فى هذا المجال وعزمه يشبه حدة هذا السيف . وقد صحب هذا السيف هدية أخرى وهى خاتم من الفيروز (٤٧) .

وهكذا نلاحظ أن خط سير العلاقة بين الدولة السعودية الأولى وبين دولة الفرس هو خط تقليدى بدأ مع بدء الإحتكاكات بين الدولة السعودية الأولى وبين مناطق جنوبى العراق العثمانى . وقد توحدت جهود عدد من القوى المختلفة ضد الدولة السعودية ، كقوة العثمانيين وتعاونهم إلى حد ما ـ مع الفرس ، وقوة حكام مسقط

وتعاونهم مع الفرس . وقوة آل خليفة وتعاونهم مع الفرس .

إن مرد هذا الصراع التقليدى بين الدولة السعودية وبين دولة فارس يعود فى حصيلته إلى الخلاف المذهبى بين الدولتين من جهة وإلى العمق الذى وصلته الدولة السعودية الأولى فى امتدادها فى مناطق عُمان وساحله من جهة ثانية ثم إلى عمق اندفاع الغزو السعودى فى مناطق جنوب العراق من جهة ثالثة . ومن هنا كانت فارس ترجئ خلافاتها مع القوى السياسية المحلية الخليجية وتركز على ضرب القوة السعودية ، وكانت كذلك تحاول أن تنسى عداوتها مع العراق العثمانى فى سبيل تجميع القوى ضد الدولة السعودية .

هَـوَامش الفَصْـل الخَامس

(١) محمد شيبة بن نور الدين السالمي ، نهضة الأعيان بحرية أهل عمان ، ص ٦٦ ، دار الكاتب العربي بالقاهرة .

(٢) Major. Hennell. to Government of Bombay. Sept. 9th. 1847 (Bahrein Archives, Book 145. p. 469. Office No 387).

(٣) ابن بشر ، جـ ١ ، ص ٨٣ ، مطابع الرياض الحديثة .

(٤) انظر : عرض حكومة المملكة العربية السعودية : مجلد ١ ، ص ٤٧٠ ، القاهرة : ١٩٥٥م .

(٥) مؤرخ مجهول ، لمع الشهاب ، ص ٥١ ، تحقيق د. أحمد أبو حاكمة ، بيروت : ١٩٦٧م .

(٦) حافظ وهبة ، جزيرة العرب فى القرن العشرين ، ص ١٣٩ ، القاهرة : ١٩٥٥ م .

(٧) ابن بشر ، جـ ١ ، ص ١٦٨ .

(٨) محمد عبد الله ماضى ، النهضات الحديثة فى جزيرة العرب ، مجلد ١ ، ص ٣٢٦ ، القاهرة ١٩٥١م .

(٩) ابن بشر ، جـ ا ، ص ١٦٨ .

(١٠) ابن بشر ، جـ١ ، ص ١٦٩ .

(١١) ابن بشر ، جـ ١ ، ص ١٦٩ .

(١٢) ابن بشر ، ج ١ ، ص ١٦٩ .

(١٣) ابن بشر ، ج ١ ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

(١٤) عثمان بن سند ، مطالع السعود ، ص ٣٣ .

(١٥) إبراهيم بن فصيح بن صبغة الله الحيدرى ، عنوان المجد فى بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد ، ص ٢١٣ .

(١٦) Burkhardt, Notes on the Bedouins and Wahabys, P.322 .

(١٧) محمود شكرى الألوسى ، تاريخ نجد ، ص ٩٦ .

(١٨) حافظ وهبه ، جزيرة العرب فى القرن العشرين ، ص ٢١٩ .

(١٩) د . صلاح العقاد ، التيارات السياسية فى الخليج ، ص ١١٠ .

(٢٠) د . صلاح العقاد ، حركات لإصلاح السلفى ، المجلة التاريخية المصرية ، جـ٧ ، ص ٩٢ .

(٢١) ابن بشر ، جـ ١ ، ١٧٥ .

(٢٢) Burkhardt, P. 310.

(٢٣) لمع الشهاب ، تحقيق أحمد أبو حاكمة ، ص ١٧٠ .

(٢٤) لمع الشهاب ، ص ٥٠ ، تحقيق د. أحمد أبو حاكمة .

(٢٥) ابن بشر . جـ ١ . ص ١٧٢ . ١٧٣ .

(٢٦) ابن بشر . جـ ١ . ص ١٧٣ .

(٢٧) انظر : د. صلاح العقاد . التيارات السياسية فى الخليج العربى . ص ٦٦ . القاهرة ١٩٦٥م .

د. جمال زكريا قاسم . دولة البوسعيد . ص ١٠٧ . القاهرة ١٩٦٨م .

Bombay Government. Selections from the Records. Vol.XXIV p. 433 . ـ

(٢٨) ارجع إلى :مقال للدكتور جمال زكريا ، عنوانه : رحمة بن جابر الجلاهمة ، حولية كلية آداب عين شمس . ١٩٦٤م .

(٢٩) انظر: Brydges. A breif History of the Wahaby. Vol. 2. 2. pp. 12-16 .

(٣٠) Brydges. op. cit. Vol. 2. pp 12-13 .

(٣١) انظر : د. عبد الحميد البطريق . ابراهيم باشا فى بلاد العرب ، القسم الأول من كتاب ذكرى البطل الفاتح ابراهيم باشا ، ص ٢٤ ، القاهرة ١٩٤٨م .

(٣٢) انظر: Selections from the Records of Bombay Government. Vol. 24. p 433 .

(٣٣) انظر: Sadlier. G.F., Diary of a Journey across Arabia from El-katif in the - Persian Gulf to Yambo in the Red Sea. during the year (Bombay 1866) .

- Selections from the Records of Bombay Government. vol. 24. p. 43.

ـ لدراسة التفصيلات ارجع إلى :

د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم . الدولة السعودية الأولى ، ط ٣ ، ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ مطبعة الجبلاوى بالقاهرة ١٩٧٩م .

(٣٤) دكتور صلاح العقاد ، التيارات السياسية ، ص ٩١ ، ٩٢ .

(٣٥) Jacques Benoist Mechin, Arabian Destiny PP. 51 - 52 (London 1947) .

(٣٦) د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، المرجع السابق ، ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

(٣٧) ارجع إلى : Adamyiat. F., Bahrein Island, p.37 (New York 1955) .

(٣٨) انظر ذلك فى : Bombay Government Selections from the Records, Vol. 24, p. 430 .

(٣٩) ابن بشر ، جـ ١ ، ص ١٤٩ .

(٤٠) ابن بشر ، جـ ١ ، ص ١٥٠ .

(٤١) انظر : Mourizi, Shaikh Mansour, History of Sayed Said, Sultan of Muscat: together, With an account of the Countries and people of the shores of the Persion Gulf particulary of Wahabees, p.81 (London 1819) .

(٤٢) ابن بشر ، جـ ١ ، ص ١٥٦ .

(٤٣) Selections. vol. 24. p. 1M8 .

(٤٤) د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، المرجع السابق ، ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

تصويبات

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٨	٣	الآلهية	الالاهية .
٩	٧	البنهاينة	النبهانية .
٩	١٢	بن	ابن .
١٣	٣	ابن	بن .
١٣	١٣	ابن	بن .
٢٣	١	اجراءًا	اجراءً .
٢٣	٢٣	بن	ابن .
٣٣	١١	نجْران	نَجْران .
٣٥	٤	حكم	الأمير .
٣٥	٤	حكم	الأمير .
٣٧	٢	نباءًا	بناءً .
٣٨	٢	تصميم	تعميم .
٣٨	١٢	مؤثراً	مؤشراً .
٤٣	٦	تجاهها	تجاهها .
٤٧	١٩	للسلفيين	لهم .
٥٥	٦	آمون	آمنون .
٥٧	٤	الإمام محمد بن سعود	الإمام عبد العزيز بن محمد .
٥٧	٢٢	بن	ابن .
٥٩	٢	إعداد	في إعداد .
٥٩	٩	هذه الفترة	طيلة هذه الفترة .
٥٩	١٠	طيلة	زائدة .
٥٩	٢١	ولاتها العربية	ولاياتها العربية .
٦٢	١٦	المسلمين	السلفيين .
٦٥	٢٤	العسكرية	الجنوبية .
٦٦	١٥	١٢٣٠ هـ	١٢٣١ هـ .
٦٧	١٦	عبد الله	ابراهيم باشا .
٦٨	٢٥	ح ٥ ن	حين .
٨٢	٦	بن عبد العزيز بن محمد زائدة .	
٨٨	١	صمار	صحار .
٩٥	٢	معلوماته	معلومات .

مطبعة نهضة مصر

